الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (أدب جزائري)

سرد الحرب في رواية حرب القبور "لمحمد ساري"

دراسة بنوية

مقدمة من قبل:

الطالب : **بن عمارة ايمن**

الطالب : **بن فطوم عبد الله**

تاريخ المناقشة: 19 / 06 / 2023

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
بومعزة السعيد	أستاذ محاضر	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
وردة معلم	أستاذة التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
شاوي راوية	أستاذ محاضر	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الشكر والتقدير

الحمد لله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي وفقنا وسهل علينا إنجاز هذا العمل المتواضع، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

من منطلق الحديث الشريف نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى المشرفة الأستاذة الدكتورة "وردة معلم"

التي لم تبخل علينا بجهدها ووقتها، وكانت سندًا بنصائحها القيمة عرفانا منا وتقديرًا على مساعدتها وإرشاداتها لنا..

كما نتقدم خالص الشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم الاطلاع على هذا العمل وتصحيحه وإبداء ملاحظاتهم العلمية ومناقشته..

كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل بالشكل الذي هو عليه، وما توفيقنا إلا بالله وهو نعم المولى ونعم النصير.

أهدي هذا العمل المتواضع

الى أسرتي الغالية,لقد كنتم الركن الذي استندت اليه في اصعب الاوقات

و الداعمين اللذين وقفو الى جانبي,

شكرا لكم على الصبر والتفهم وعلى النصائح و التوجيهات القيمة التي قدمتموها لي طيلة مشواري الدراسي

اي اصدقائي الاعزاء اللذين كانو بجانبي طوال هذه الرحلة

الى من جمعتني بهم الجامعة و قاسموني مقاعد الدراسة

واخيرا الى اساتذتي الاعزاء اللذين سهروا على توجيهي و تعليمي طوال فترة الدراسة,وساهمو في بناء شخصيتي الاكادمية و المهنية.

وشكرا

عبد الله

اهدي ثمرة جهدي المتواضع

الى عائلتي العزيزة كل باسمه امي , اخي و زوجتي لقد كنتم الركيزة الاساسية و المصدر المستمر للتحفيز و الدعم.

شكرا لكم على التضحيات التي قدمتموها و الثقة التي وضعتموها في قدراتي .

انا ممتن لكم جميعا.

الى رفاقي الاعزاء و زملاء الدراسة ,اللذين كانو دعما حقيقيا ومصدرا للسعادة خلال سنوات الدراسة

الى اساتذتي الاعزاء اللذين شاركوني المعرفة و الخبرة و سهروا على توجيهي و تعليمي

أيمن

مقدمة

مقدمة:

تعد الحرب ظاهرة إنسانية بالغة التأثير والتعقيد، حيث تندرج تحتها العديد من المفاهيم والتجارب التي تتراوح بين المأساوية والبطولية والروحانية، والتي تركت بصمتها على الإنسانية على مر العصور، وليس هناك أي مجال أدبي خال من تأثيرها العميق الذي أدى إلى ظهور نصوص أدبية تتناول هذا الموضوع بصور مختلفة ومتعددة.

وقد استحوذت الحرب على اهتمام الكتّاب والشعراء والروائيين منذ العصور القديمة وحتى يومنا هذا. فهي تعكس النزاعات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تعصف بالشعوب، وتصور الصراع بين الخير والشر، الحرية والقيود، الشهامة والوحشية. والأدب واحد من أهم الوسائل التي يتم استخدامها للتعبير عن تجارب الحرب وتأثيراتها، فيلقي الضوء على المعاناة البشرية والمأساة والأمل في زمن الصراعات، ومن جهة أخرى، يمتاز الأدب العالمي بتنوعه وتعدد ثقافاته ولغاته، مما يؤدي إلى ظهور رؤى ومنظورات مختلفة حول الحرب وتأثيراتها. فالكتّاب من مختلف الثقافات والمناطق ينظرون إلى الحروب ويروون قصصها بطرق فريدة، وقد تتباين تلك الروايات بين المقاربة الواقعية والسردية والرمزية.

وبالنسبة للأدب العربي، فإنه يحمل في طياته تجارب فريدة ومتنوعة ترصد تأثير الحروب في المنطقة العربية. من خلال الشعر والقصة والرواية، فقد عرف الشعر العربي بتصويره للحرب منذ قديم الزمان. وأما الرواية فهي حديثة العهد في العالم العربي لكنها لعبت دورا أساسيا في تصوير الحروب؛ حيث يحاول الروائيون العرب إيصال رسالتهم والتعبير عن تجارب الحرب المعاصرة ومعاناتها، وتوثيق تاريخ الشعوب والمجتمعات في زمن النزاعات والحروب. لذلك عدت منبرًا للتعبير عن آلامهم وآمالهم وانتقاداتهم تجاه الحروب وعواقبها.

ولم يخل الأدب الجزائري من تناول الحرب في نصوصه وأشعاره؛ حيث وظف الأدباء الجزائريون أقلامهم في تصوير تجارب الحروب التي مرت بها الجزائر وتأثيراتها على مختلف طبقات المجتمع الجزائري. ولعبت الرواية في هذا المجال دورا كبيرا حيث كانت الوسيلة الأدبية الأكثر انتشارا في وصف الحروب بالتفاصيل الدقيقة ومن كل الجوانب ،وقد أبدع الروائيون الجزائريون

في تصوير الحرب في رواياتهم ومنهم محمد ديب ،و الطاهر وطار وواسيني الأعرج، مولود معمري، مولود فرعون، مالك حداد، آسيا جبار، ياسمينة خضرة، ومحمد ساري الذي كتب رواية حرب القبور، والتي اخترنا أن تكون موضوعا لدراستنا التي عنوناها **بخطاب الحرب في رواية حرب القبور** "لمحمد ساري" وكانت إشكاليتها متمركزة حول الكيفية التي تعامل بها الروائي مع هذه الظاهرة على صعيد المتخيل، بمعنى كيفية تعامله مع المادة التي تتحدث عن الحرب بالعودة إلى الماضي القريب أو البعيد باستحضار التاريخ الحربي والتفاعل معه من خلال العرض والمساءلة والحوار، ثم تجاوز التاريخ السابق وإعادة بنائه متخيلا بحيث أصبح لا يقول الماضي فقط وإنما يحاول تعرية الواقع والكشف عنه. وانطلاقا من هذه الرؤية كانت الإشكالية التي بنينا علياه دراستنا متمثلة في كيف تجلى موضوع الحرب على مستوى القصة والخطاب في رواية حرب القبور؟ وقد تفرعت عن الإشكالية أسئلة أخرى فرعية منها:

-هل تحققت أدبية قصة الحرب؟

-كيف تحققت أدبية الخطاب الروائي؟

-هل استطاع محمد ساري أن يحدث الخرق على مستوى القصة والخطاب؟

-فيم تتمثل أبعاد خطاب الحرب؟ وما هي أهم دلالاته؟

وتهدف هذه الدراسة إلى فهم أعمق للحرب على مستوى المتخيل الروائي. كما تهدف إلى تقريب الفهم للقارئ الذي بإمكانه أن يحصل على تصور أعمق للحرب كظاهرة وتأثيراتها على الأفراد والمجتمعات على مستويي القصة والخطاب باعتبارهما مكونين للنص السردي يساعدان على فهم تقنيات الكتابة وتأثيراتها على التعبير عن الحرب وتوصيل رسائلها. فيمكن لهذا التحليل —من منظورنا -أن يكشف عن أساليب الكتابة الفنية التي تستخدمها الرواية لإثارة المشاعر وترسيخ الرسائل المراد توصيلها.

أما بالنسبة لسبب اختيارنا لهذا الموضوع، فقد تم اختيار هذا الموضوع بناءً على اهتمامنا الشخصي بتأثيرات الحروب على الأفراد والمجتمعات، ولنموذج الحروب كظاهرة تاريخية وسياسية وثقافية ذات أهمية بالغة، ولدراسة دور الأدب في التعبير وتوصيل الرسائل عن ظاهرة الحرب، وللتواصل مع الكاتب والثقافة المتجسدة في رواية "حرب القبور"، ولتحقيق أهدافنا الأكاديمية والبحثية في توسيع المعرفة وتنمية المهارات البحثية والتحليلية.

وقد قسمنا خطة بحثها إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. تحدثنا في الفصل الأول الذي عنوناه **الحرب في الأدب**، عن مفهوم الحرب لغة واصطلاحا، وعن الحرب في الأدب العالمي، والأدب العربي، والأدب الجزائري، وذكرنا أهم الأعمال الأدبية التي تتناول الحرب في كل من هذه الأدبيات. في الفصل الثاني الذي كان تطبيقيا وعنوانه **تحليل رواية حرب القبور بمنهج تودوروف**، تم التركيز فيه على السرد بوصفه قصة وتتبعنا فيه مكوناتها وأبرزها منطق الأحداث والشخصيات، كما تمت دراسة السرد بوصفه خطابا وذلك بدراسة مكوناته، وهي: زمن السرد ومظاهره وأنماطه، وأنهينا هذا الفصل بتتبع خرق النظام على مستوى القصة والخطاب معا.

وفي الفصل الثالث الذي عنوانه **أبعاد ودلالات الحرب في رواية "حرب القبور"**، تتبعنا أبعاد خطاب الحرب في رواية حرب القبور وهي: البعد النفسي، الاقتصادي، والاجتماعي. كما درسنا فيه دلالات خطاب الحرب، والمتمثلة في الحرب من خلال الأحداث، الحرب من خلال الزمن، الحرب من خلال المكان، والحرب من خلال اللغة.

واعتمدنا المنهج البنيوي لتودوروف كونه منهجا مناسبا لموضوعنا؛ حيث يقدم لنا توليفة من التطبيقات المدروسة لنطبقها على رواية "حرب القبور"، والتي تمكننا من استخراج جمالياتها الفنية والتعرف على مدى قدرة الروائي في الكتابة الروائية ومدى إتقانه لهذه الصنعة، كما استعنا بالمنهج الوصفي في محاولة لتتبع القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية التي تتناولها الرواية وكان الهدف من هذا المزج الإمساك بتلابيب النص من الجهتين الجمالية التقنية والفكرية الأيدولوجية. كما استعنا بالمنهج التاريخي حين حاولنا تتبع موضوع الحرب في الأدب.

وبالنسبة للدراسات السابقة لرواية حرب القبور فإننا نرى أنه لم يتم تناولها بالشكل الكامل وبالطريقة التي تنصف الرواية والكاتب معا، فقد اقتصرت الدراسات التي اطلعنا عليها حول تفاصيل نقدية تتناول الشخصية بمعزل عن الأحداث أو العكس، وبعضها الآخر تناولها بالدراسة من حيث جماليات اللغة لا غير، مختزلين جمال الرواية ورسالتها العميقة، والتي حاولنا تناولها في بحثنا هذا بصورة نعتقد أنها تحمل بعض الإنصاف لهذه الرواية الجميلة.

وأما مراجع الدراسة فقد اعتمدنا ما يتناسب مع موضوعنا وأهمها:

- يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي.
- وردة معلم: محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات.
- طرائق تحليل السرد الأدبي "دراسات" تجميع منشورات اتحاد الكتاب المغرب.
- إبراهيم عباس "الرواية المغاربية" تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي.

وقد واجهتنا العديد من المتاعب في اختيارنا لنموذج الدراسة منها: صعوبة الحصول على الرواية، وضيق الوقت، ونقص المراجع التي تخدم بحثنا وبالأخص المترجمة منها لكن بعون الله وحفظه تجاوزنا كل ذلك وأتممنا هذا البحث المتواضع.

وختاما نوجه شكر خاص للأستاذة/ وردة معلم على توجيهاتها طيلة إنجاز هذا العمل، فنحن ممتنان لكل الوقت والجهد الذي قدمته لتوجيهنا ومساعدتنا في تحقيق أهدافنا الأكاديمية. نحن محظوظون لكوننا طلابك. نتمنى لك التوفيق والنجاح في مسيرتك الأكاديمية.

ونحمد الله *عز وجل* الذي وفقننا لعمل وإنجاز هذا البحث العلمي المتواضع، كما نتمنى أن يكون بحثنا هذا قد أحاط بكل ما سطر له، وإن نقصت بعض الأشياء، فمهما كان حجم الدراسة لا يمكن أن تكون نهائية، متمنين أن تكون فاتحة خير لدراسات أكاديمية أخرى كالدكتوراه.

الفصل الأول

الحرب في الأدب

- تعريف الحرب
- الحرب في الأدب العالمي
- الحرب في الأدب العربي
- الحرب في الأدب الجزائري

تمهيد:

لقد خاضت البشرية غمار الحروب المدمرة للعباد والبلاد، منذ عصور خلت دون وازع ولا رادع، واكتوت بنارها وعانت من ويلاتها، وقد ارتبط مفهوم الحروب بنزعة الهيمنة، المصلحة، الإخضاع، السيطرة، التّوسع ونهب ثروات الشعوب ومواردها الاقتصادية، ليكتب على تاريخ البشرية، أنه تاريخ حروب وصراعات، أكثر منه تاريخ تعايش وسلام، لكن البشرية لم تستسلم لواقعها المر بل قاومت بكل ما تملكه من وسائل لتغيير واقعها المرير، ومن أبرز الوسائل التي لجأت إليها مرارا وتكرارا هو الأدب والفن.

وفي عملنا هذا ارتأينا أن نذكر دور الأدب في تصوير الحروب ومعالجة مسبباتها وظروفها عبر العصور، في مختلف الثقافات، فالأدب حرفة عالمية توحد البشر حول حبها واستعمالها للتعبير عن أنفسهم بما تتفجر قرائحهم من أشعار وروايات ونصوص وفي هذا الفصل سنذكر الحرب وتعريفها وأبرز الأعمال الأدبية التي تناولتها عبر العصور عبر مختلف الثقافات

أولا: تعريف الحرب:

1. الحرب لغة:

مما ذكرته المعاجم العربية في مادة (ح ر ب) حرب: الحرب نقيض السِّلم، تُؤنّث، وتصغيرها حُرَيْب رواية عن العرب، ومثلها ذُرَيْع وفُرَيْس وقُرَيْس أنثى، ونُيَيْب يعني الناقة وذُوَيْد وقُدَيْر وخُلَيْق، يقال: مِلْحَفةٌ خُلَيْق، كل ذلك تأنيث يُصغَّر بغير الهاء. ورجلٌ مِحْرَب: شُجاع. وفلانٌ حَرْبُ فلانٍ أي يُحَاربُه. ودار الحرب: بلادُ المشركين الذين لا صُلْحَ بينهم وبين المسلمين، وحرَّبْته تحريبًا أي حَرَّشْتُه على إنسان فأولِع به وبعَداوته. وحَرِبَ فلان حَرَبًا: أُخِذَ مالُه فهو حَرِبٌ مَحْرُوب

حَريبٌ. وحَريبةُ الرجل: ماله الذي يعيش به، (والحَريبُ الذي سُلِبتْ حَريبتُه). وقوله تعالى: {يُحاربون اللهَ ورسوله} (المائدة:٣٣)، يعني المعصية وقوله تعالى: {فَأْذَنوا بحَرْبٍ من الله ورسوله} (البقرة:٢٧٩) يقال: هو القَتْل.[1]

وما سبق نستنتج أن من أهم المعاني التي يدل عليها المادة الاشتقاقية ح ر ب هي:

2. الحرب اصطلاحا:

يختلف تعريف الحرب حسب الزمن، وحسب المجال الذي عرفت فيه كالمجالات السياسية, والعسكرية, التاريخية, الاقتصادية, النفسية, الاجتماعية ...إلخ. وأبسط تعريف للحرب هو أنها: صراع بين مجموعتين كبيرتين تسعى إحداهما لتدمير الأخرى أو التغلب عليها. [2]

والحرب في معناها السياسي، هي: ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح أو مطالب متعارضة بين جماعتين من البشر.[3]

أما معناها العسكري، فهو: القتال المسلح الذي ينشب بين دولتين أو أكثر في سبيل تحقيق هدف سياسيّ أو عسكريّ، وتخوض غمارها جيوشها النظامية لحل النزاع القائم بينهما بعد إخفاق جميع المساعي الدبلوماسية لإيجاد تسوية سياسية. وهو مصطلح يخص كافة الصنوف العسكرية، أو القوات البرية، أو القوات المشتركة .[4] ويعرفها المنظر العسكري الألماني كلاوزفتز: الحرب امتداد للسياسة بوسائل أخرى وعمل عنف يقصد به اجبار خصومنا على الخضوع لإرادتنا.[5]

[1] معجم العين: ص299

[2] الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشّر والتوزيع، الرياض، ج9، ط2، 1999، ص162.

[3] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السّياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، ط4، 2001، ص170.

[4] سامي عوض، معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص184.

[5] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، ص170.

وأما فلسفيا فهي، ذروة العدوانية الجماعية، وهي الظّاهرة الأكثر غرابة وفرادة بين كل الظاهرات الاجتماعية. أو هي ظاهرة العنف الجماعي المنظم التي تؤثر إما على العلاقات بين مجتمعين أو أكثر أو تؤثر على علاقات القوة داخل المجتمع. [1]

دواعي الحروب وذرائعها :

الحرب من أجل الثروة: نشبت في العصور الوسطى حروب عديدة في أوروبا في سبيل الثروة، وكثيرا ما كان أحد النبلاء يحاول أن يستولي على ممتلكات نبيل آخر.[2]

الحرب من أجل السلطة: خاضت الأمم الأوروبية الكبيرة حروبا على امتداد العالم في سبيل حصولها على السلطة أو التوسع فيها. وقد وحدت هذه الحروب الشعوب كما زادت من قوة الحكومات[3].

الحرب من أجل الأمن :تخشى معظم الدول من احتمالات الهجوم عليها فتقوم بإنشاء قوات مسلحة للدفاع عن أراضيها. وأحيانا تتوجه هذه الخشية نحو قطر معين، وفي هذه الحالة تقوم الدولة بتوجيه ضربتها الأولى[4].

ثانيا: الحرب في الأدب العالمي:

يظهر التقصي المتمعن في تاريخ الأدب العالمي أن الحرب شغلت حيزا كبيرا في الأعمال الأدبية وشغلت الأدباء عبر التاريخ. وعند النظر عن قرب للأعمال الأدبية التي تناولت الحرب عبر التاريخ نلاحظ اختلاف التعامل معها من عمل إلى آخر في فترات زمنية مختلفة فبينما تمجد بعض الأعمال الأدبية الحرب وتصورها على أنها مسعى بطولي، فإن البعض

[1] غاستون بوتول، الحرب أو أقصى درجات العنف، من كتاب العنف (دفاتر فلسفية –نصوص مختارة)، إعداد وترجمة: محمد الهلالي ومحمد لزرق، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط1، 2009، ص44-45.

[2] الموسوعة العربية العالمية، ج9، ص162.

[3] المصدر نفسه، ص163.

[4] المصدر نفسه.

الآخر يتخذ نهجًا أكثر انتقادًا، حيث يسلط الضوء على أهوال وفظائع الصراع والأثر المدمر الذي يمكن أن تحدثه على الأفراد والمجتمعات.

وأحد الموضوعات المشتركة في أدب الحرب هو البطولة والتضحية، وتصور العديد من الأعمال الأدبية الجنود وغيرهم من المقاتلين على أنهم نبلاء وعلى درجة كبيرة من نكران الذات، وعلى استعداد للمخاطرة بحياتهم من أجل قضية أكبر. غالبًا ما تؤكد هذه الصور على شجاعة الفرد وشرفه وولائه، فضلاً عن أهمية القتال من أجل قضية عادلة.

وفي الوقت نفسه، غالبًا ما يستكشف أدب الحرب الجانب المظلم من الصراع. تصور العديد من الأعمال العنف والمعاناة والصدمات التي يمكن أن تنجم عن الحرب، مما يسلط الضوء على الخسائر البشرية للصراع المسلح. وقد تصور هذه الأعمال الجروح البدنية والنفسية التي يعاني منها الجنود والمدنيون، فضلا عن الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية التي يمكن أن تنجم عن الحرب.

وعلى هذا الأساس سنذكر نماذج أدبية توضح ما سبق ذكره سواء أعمال أدبية تناولت الحرب بوصفه موضوعا أساسيا لعملها أو موضوعا ثانويا لكن شغل حيزا معتبرا منها:

1- الحرب في أدب اليونان القديمة:

أشهر عمل أدبي تناول الحرب في العصر اليوناني القديم هو الإلياذة للشاعر هوميروس "الإلياذة أو الإلياس" نسبةٌ يونانية إلى إليون عاصمة بلاد الطرواد، وهي الملحمة التي نحن بصددها، وضعها هوميروس على أسلوب بسيط وبناها على موضوع واحد هو (غيظ آخيل أو احتدامه).

ومُجمل القصة أنه كان في جملة السبايا فتاةٌ جميلةٌ وقعت في سهم آخيل ،فانتزعها منه أغاممنون زعيم الزعماء، واستخلصها لنفسه فعظم الأمر على آخيل، وكاد يبطش بأغاممنون لولا أن أثينا إلهة الحكمة هبطت من السماء وصدَّته

قسرًا، فانكفأ عنه واعتزل القتال هو وعشائرهُ، فحمي وطيس الحرب بين الإغريق والطرواد وأخيل في عزلته يتحرق غيظًا؛ فاشتدت عزيمة الطرواد لاحتجاب آخيل فنكَّلوا بالإغريق في مواقع كانت الغلبة في معظمها لهم، فلما ثقلت الوطأة على الإغريق أوفدوا الوفود استرضاءً لأخيل فما زاد إلا عتوًّا وكِبرًا، فوقعت هيبة هكطور زعيم الطرواد وابن ملكهم فريام في قلوب الإغريق، وما زالت تتوالى له الغلبة بعد الغلبة حتى كاد يحرق سفائنهم ويردهم خائبين. وكان لأخيل صديقٌ حميم هو فطرقل فتى جمع بين كرم الخلال وبسالة الأبطال صحب آخيل في معتزله، وهو مع هذا يتلظى أسى لنكبة قومه ويستفز أخيل للأخذ بيدهم، وأخيل كالحجر الأصم لا يرقُّ ولا يلين. ولما اشتدت الأزمة على الإغريق وكاد يقضى عليهم جعل فطرقل ينتحب كالطفل؛ فأذن له آخيل أن يتقلد سلاحه ويحمل على الطرواد بجند المرامدة قوم أخيل. فحمل عليهم حملةً مزقت شملهم وردَّتهم على أعقابهم، وإذا به خرَّ قتيلا أمام هكطور فدارت الدائرة بموته على قومه فولَّوا مدبرين وهكطور يضرب في أردافهم، ولما علم آخيل بموت فطرقل قتيلا تسعر حزنًا على حليف وده، والتهب حقدًا على الطرواد وتحول غضبه من عن الإغريق إليهم، ونهض للأخذ بالثأر فصالح أغاممنون وأغار على الطرواد فبطش بهم بطش الأسود بالحملان؛ فلاذوا بالفرار وتحصنوا في معاقلهم ما خلا هكطور فإنه برز له فقتله آخيل ومثَّل به، ولكنه ما لبث أن سكن جأشه وخبا غيظه، فانقلب ذلك الغيظ رفقًا وعطفًا إذ رقَّ لشيبة فريام فألقى إليه بجثة ابنه وسيَّرهُ آمنًا، فانتهت القصة بسكونٍ وسلام.[1]

2- الحرب في أدب القرون الوسطى:

امتازت هذه الفترة من التاريخ بتبجيل الحرب والفرسان والبطولات الخالدة للمحاربين المدافعين عن أوطانهم ضد الغزاة، ومن أشهر الأعمال الأدبية التي تناولت الحرب والفروسية هي أسطورة شعبية سلتية وبريطانية ومسيحية عن الملك آرثر وفرسانه.

[1] هوميروس، الالياذة، ترجمة سليمان البستاني، مؤسسة هنداوي، 2011، ص31.

ومن جمع هذه الأسطورة وأرخ لها هو الراهب "جيفري أوف مونماوث" عام 1130م في كتاب بعنوان "تاريخ ملوك بريطانيا". واشتهرت شخصية الملك آرثر كالنار في الهشيم حيث ألهمت العديد من الكتاب ليكتبوا قصصا أدبية عن هذه الشخصية نذكر منهم الشاعر الفرنسي "وايس" 1155م الذي ترجم كتاب "جيفري أوف مونماوث" وأضاف إليه من خياله أحداثا وتفاصيلا أخرى أهمها: الطاولة المستديرة التي تشتهر بها أسطورة الملك آرثر إلى يومنا هذا والتي ترمز إلى المساواة بين كل من يجلس عليها. ونذكر أيضا الكاتب كريتيان دي تروا الذي كتب قصصا عن الملك آرثر مما أدى إلى اشتهار الشخصية بشكل كبير جدا.

وأول من جمع كل قصص الملك آرثر وكتبها وأخرجها في كتاب خيالي أدبي بعنوان "موت الملك آرثر" " Le Morte d'Arthur" هو "السير توماس مالوري" بإنجلترا في القرن الخامس عشر الميلادي. [1]

ووفقًا للأسطورة، كان آرثر ابن الملك أوثر بندراغون، الذي ساعده الساحر ميرلين في الحصول على العرش. عندما مات أوثر، أصبح آرثر الوريث الشرعي ولكن شرعيته كانت موضع نزاع من قبل اللوردات الآخرين الذين أرادوا العرش لأنفسهم. لإثبات جدارته، سحب آرثر سيفًا من حجر، وهو إنجاز لا يمكن إلا للملك الحقيقي تحقيقه. ومع السيف، المسمى اكسكاليبار، قاد آرثر مجموعة من الفرسان تسمى فرسان المائدة المستديرة للدفاع عن بريطانيا ضد أعداء مثل الساكسون والرومان والقوى الخارقة للطبيعة في حروب طاحنة. وأقسم الفرسان على التمسك بقانون المروءة والبحث عن المغامرة والعدالة والشرف. وتميز عهد آرثر بالعديد من مآثر البسالة والحكمة، بما في ذلك زواجه من الملكة غينيفير، وصداقته مع فارسه الأكثر ثقة، لانسيلوت، وسعيه للحصول على الكأس المقدسة، وهو كأس مقدس قيل إنه يتمتع بقوى الشفاء.

[1] هل هناك أي حقيقة لأساطير الملك آرثر؟ آلان لوباك، تاريخ النشر2018/10/11، منصة يوتيوب، تاريخ المشاهدة2023/02/18. https://www.youtube.com/watch?v=RBsY88Lir-A

ومع ذلك، لم تكن قصة آرثر خالية من المأساة. كان لديه ابن اسمه موردريد أنجبه مع أخته غير الشقيقة مورغوس، وهذا أدى إلى حرب أهلية أدت إلى سقوط مملكته. تمرد موردريد ضد آرثر والتقى الجانبان في معركة أخيرة في كاملان، حيث أصيب آرثر بجروح قاتلة. ووفقًا لبعض نسخ القصة، تم نقل آرثر إلى جزيرة أفالون الصوفية، حيث تم شفائه من جروحه وبقي حتى كانت هناك حاجة إليه للعودة إلى بريطانيا. في نسخ أخرى، مات ودفن في مكان سري.[1]

وكما نرى من أحداث أشهر قصة عن الحرب في العصور الوسطى تمجيد أهل تلك الحقبة لقيم الشجاعة والفروسية؛ حيث يرون أن الحرب هي البيئة الأنسب لإظهار تلك القيم النبيلة.

3- الحرب في أدب عصر النهضة:

أشهر عمل يتناول الحرب في عصر النهضة هو سلسة مسرحيات شكسبير، والتي تضم مسرحيات "هنري السادس، الجزء الأول"، و"هنري السادس، الجزء الثاني" و"هنري السادس، الجزء الثالث" و"ريتشارد الثالث"، و "ريتشارد الثاني" و"هنري الخامس" التي تشكل جميعها قصة "حرب الوردتين". نشرت في الفترات ما بين 1590 إلى 1592م وهي مستوحاة من أحداث تاريخية حقيقية.

وتحكي هذه المسرحيات قصة الصراع بين إنجلترا وفرنسا، والخصومات العنيفة التي شبَّ أوراها بين الأشراف الانجليز...ينتهي بانتصار أسرة يورك على أسرة لانكستر في واقعة " سانت ألبانز" في حرب الوردتين المعروفة في تاريخ إنجلترا.[2]

[1] Thomas Malory, Le Morte d'Arthur, William caxton,1485

[2] زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الأدب في العالم الجزء الثاني، مؤسسة هنداوي، ص182.

4- الحرب في أدب القرن التاسع عشر:

أشهر عمل أدبي يتناول الحرب في القرن التاسع عشر هو " الحرب والسلام " وهي رواية للمؤلف الروسي ليو تولستوي، نُشرت لأول مرة عام 1869. وتعد واحدة من أعظم أعمال الأدب العالمي، وهي أشهر أعمال تولستوي. تحكي الرواية قصة العديد من العائلات في روسيا خلال الحروب النابليونية، ويستكشف مواضيع الحب، والأسرة، والحرب، والنضال من أجل الهوية الشخصية والوطنية. وكما يظهر من اسمها موضوع الحرب هو موضوع مركزي، وبارز في رواية تولستوي "الحرب والسلام".

تدور أحداث الرواية خلال الحروب النابليونية، وتأثير الحرب على الأفراد والمجتمع وهو كفكرة متكررة في جميع أنحاء الكتاب. وأحد الموضوعات الرئيسية المتعلقة بالحرب في الرواية هو فكرة الحتمية التاريخية. يجادل تولستوي بأن أحداثًا مثل الحروب ليست مجرد نتيجة لأفعال الرجال العظماء، بل هي نتيجة لقوى اجتماعية وتاريخية معقدة. يصور الحرب على أنها قوة هائلة غير شخصية تشكل حياة الأفراد بطرق عميقة.

وهناك موضوع مهم آخر يتعلق بالحرب في الرواية هو فكرة التضحية، فالشخصيات في الرواية مجبرة على مواجهة واقع الحرب والتضحيات التي تطلبها. وكثير منهم مدعوون إلى تقديم تضحيات، سواء بترك عائلاتهم وراءهم للقتال في الحرب، أو بالتضحية بحياتهم من أجل الصالح العام.

ويكشف تولستوي أيضًا التأثير النفسي للحرب على الأفراد ويصور أهوال الحرب بتفاصيل دقيقة، والخسائر المادية والعاطفية التي تلحق بالجنود والمدنيين على حد سواء كما يكشف الطرق التي يمكن للحرب من خلالها تغيير الأفراد للأفضل وللأسوأ.[1]

[1] ليو تولستوي، الحرب والسلام، ترجمة سامي الدروبي، دار التنوير ودار المدى، بيروت، ط 1، 2017.

5- الحرب في أدب القرن العشرين:

تميز أدب القرن العشرين بالحربين العالميتين الأولى والثانية والعديد من الصراعات الأخرى التي كان لها تأثير كبير على المجتمع والثقافة والسياسة. نتيجة لذلك، أصبحت الحرب وآثارها على البشرية موضوعات متكررة في العديد من الأعمال الأدبية من هذا العصر.

واتسم أدب الحرب في القرن العشرين بتزايد المشاعر المناهضة للحرب، حيث بدأ الكتاب في استكشاف أهوال الحرب وعدم جدواها. تأثر هذا التحول إلى حد كبير بتجارب الحرب العالمية الأولى، والتي كان لها تأثير عميق على المجتمع الأدبي والمجتمع ككل.

ومن أبرز الأمثلة على الأدب المناهض للحرب رواية إريك ماريا ريماك **كل شيء هادئ على الجبهة الغربية** (**All Quiet on the Western Front"1929** ")، وهي رواية عن تجارب الجنود الألمان في الحرب العالمية الأولى. يصور الكتاب فيها تجارب بول بومر، الجندي الألماني الشاب الذي التحق بالجيش خلال الحرب العالمية الأولى إلى جانب زملائه من المدرسة. وتصور الرواية الطبيعة الوحشية والكارثية للحرب، كما هو الحال مع بول وزملائه. ويواجه الرفاق وابلًا لا هوادة فيه من الموت والدمار على الخطوط الأمامية. ويواجه الجنود الخسائر الجسدية والنفسية، بما في ذلك الصدمات، والخسارة، والشعور بخيبة الأمل من الحماسة الوطنية التي دفعتهم إلى التجنيد، وتقدم الرواية نقدًا قويًا للحرب وأثرها على الحالة الإنسانية، وتبرز أهمية الرحمة والتعاطف في مواجهة هذه المعاناة.[1]

[1] أريك ماريا ريماك، كل شيء هادئ في الميدان الغربي، دار الهلال. روايات الهلال، العدد395، نوفمبر 1981.

وهناك **ارنست هيمنجواي–وداعا للسلاح:** "وداعًا للسلاح"، وهي رواية كتبها أرنست هيمنجواي ونُشرت لأول مرة في عام 1929. تدور أحداث الرواية خلال الحرب العالمية الأولى وتحكي قصة الملازم الأمريكي «فريدريك هنري»، سائق سيارة إسعاف أمريكي.

والحرب هي الموضوع الرئيسي في "وداعا للسلاح" لأرنست هيمنجواي التي تدور أحداث الرواية خلال الحرب العالمية الأولى، وتكشف التأثير المدمر للحرب على الأفراد والمجتمع ككل، ويصور هيمنجواي الحرب على أنها لا معنى لها ومدمرة، مع التركيز على الخسائر الجسدية والعاطفية التي تلحق بأولئك الذين يقاتلون فيها. من خلال تجارب فريدريك هنري كسائق سيارة إسعاف، يرى القارئ أهوال الحرب عن كثب، بما في ذلك العنف الوحشي الذي لا معنى له، وتدمير المدن والمناظر الطبيعية، والصدمات والأضرار النفسية التي لحقت بالجنود. وتسلط الرواية الضوء أيضًا على خيبة الأمل التي شعر بها العديد من الجنود عندما أدركوا أن الحرب لم تكن كما كانوا مقتنعين. بشكل عام، "وداعا للسلاح" هو نقد قوي للحرب وآثارها المدمرة.

ومن الروايات أيضا نذكر جوزيف هيلر– الخدعة22 "الخدعة 22"، وهي رواية ساخرة لجوزيف هيلر تدور أحداثها خلال الحرب العالمية الثانية، وتنتقد البيروقراطية العسكرية وعبثية الحرب. وتتبع الرواية تجارب الكابتن جون يوسريان، طيار القنابل في القوات الجوية للجيش الأمريكي، وزملائه الجنود، وهم يبحرون في أهوال الحرب. وتستخدم الرواية الدعابة السوداء والعبثية والمفارقة لتسليط الضوء على وحشية الحرب، من البيروقراطية التي تحاصر الجنود إلى الخسائر النفسية التي تلحق بهم. ومن خلال أمثلة مثل قاعدة الخدعة–22، وتجريد الجنود من إنسانيتهم، وعدم جدوى العمل العسكري، والأثر المدمر على الصحة العقلية للجنود، يقدم "الخدعة22–" لائحة اتهام شديدة للحرب ونقدًا قويًا للمؤسسات التي يديمها.

وتدور أحداث رواية الثلج الحار– يوري بونداريف:" الثلج الحار "التي كتبها يوري بونداريف، وهو مؤلف روسي ومحارب قديم في الحرب العالمية الثانية. نشرت لأول مرة في عام 1959 ويعتبر من كلاسيكيات الأدب السوفييتي حول معركة ستالينجراد، وهي واحدة من أكثر المعارك وحشية في الحرب العالمية الثانية. والشخصية الرئيسية هي ضابط سوفيتي شاب يدعى نيكولاي كوفاليف، تم إرساله إلى الخطوط الأمامية للقتال ضد الجيش الألماني الغازي. وتصور الرواية الحقائق القاسية للقتال من خلال تجارب كوفاليف في الحرب، وتأثيرها على المدنيين، والخسائر التي تلحقها بالجنود أنفسهم. ومع تطور القصة، يضطر كوفاليف إلى مواجهة معتقداته وقيمه في مواجهة فظائع الحرب.

وتشتهر الرواية بتصويرها الحي والواقعي لمعركة ستالينجراد وتأثيرها على أولئك الذين قاتلوا فيها. كان بونداريف نفسه من قدامى المحاربين في المعركة، وتعتمد الرواية بشكل كبير على تجاربه الخاصة بشكل عام، «الثلج الساخن» هو تصوير قوي ومؤثر للتكلفة البشرية للحرب ونضالات الأفراد للحفاظ على إنسانيتهم في مواجهة العنف والدمار.

6– الحرب في أدب القرن الحادي والعشرين:

تميزت رواية الحرب في القرن الحادي والعشرين، بعدة جوانب مميزة. تركز الأدب على تجارب الحرب الحديثة وتأثيرها الوحشي، حيث استخدمت الأسلحة النووية والتكنولوجيا المتقدمة لتكون مدمرة بشكل لم يسبق له مثيل. وفي هذا السياق، تم تنويع وجهات النظر والأصوات في الأدب لتعكس تجارب مختلفة للحرب. ولم يقتصر التركيز على الجوانب البطولية والوطنية فحسب، بل اتجه الأدب أيضًا لاستكشاف تأثير الحروب على الضحايا المدنيين والجنود والناجين.

ومن أبرز الأعمال التي تناولت الحرب في هذه الفترة نذكر:

"سارقة الكتب" (The Book Thief):

هي رواية كتبها الكاتب الأسترالي ماركوس زوساك. وتدور القصة في ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية، وتركز على حياة فتاة صغيرة تُدعى ليزل، والتي تُرسل للعيش في بلدة صغيرة مع عائلة استضافتها.

وتتميز ليزل بشغفها بالقراءة والكتب، وتصبح سارقة ماهرة للكتب، وتبدأ في سرقة الكتب من مختلف الأماكن، بما في ذلك أماكن الحرق التي تُحرق فيها الكتب المحظورة من قبل النازيين. وتكون الكتب التي تسرقها ليزل هي مصدر تعلم وترفيه وشجاعة لها، وتساعدها على التعامل مع الصعوبات والمخاطر التي تواجهها في الحياة. وتتطور القصة لتركز أيضًا على العلاقة بين ليزل وبين رجل يُدعى هانس هوبرمان، الذي يعمل كوالد استضافة لها ويعلمها قراءة الكتب، وتنمو العلاقة بينهما بالرغم من الظروف الصعبة والتوتر السياسي المحيط بالحرب. وتتناول الرواية أيضًا تأثير الحرب على الناس العاديين، وتعكس تحولات الحياة والتضحيات التي يضطرون لاتخاذها.

وتعد "سارقة الكتب" قصة مؤثرة وجميلة تحاكي القوة العاطفية للكتب والكلمات في مواجهة القسوة والظلم والصعوبات في زمن الحرب.

"حروب ليس لها اسم" (Wars Without a Name):

رواية من تأليف جاك بيانكاتش، تروي قصة الحروب والصراعات في منطقة البلقان من خلال عدة حكايات متشابكة. وتتناول الرواية الأحداث التاريخية والحروب العالمية والأهلية وتأثيرها على الأفراد والمجتمعات. وتبدأ القصة في فترة الحرب العالمية الثانية وتستمر حتى الحروب الأهلية في البلقان في القرن الحادي والعشرين. ويتمحور السرد حول مجموعة متنوعة من الشخصيات الرئيسية، من مختلف الأعراق والثقافات والخلفيات الاجتماعية. ويتم تسليط الضوء على قصصهم الشخصية وكيفية تأثرهم بالحروب والصراعات. وتنقل الرواية القارئ إلى جوٍ مليء بالتوتر والتشويق والتعاطف. تستكشف الأحداث العنف والفوضى التي يتعرض لها الناس في ظل الحروب، بالإضافة إلى التحديات النفسية والأخلاقية التي يواجهها الأفراد أثناء الحروب وعمليات التشتت الاجتماعي.

وتعكس الرواية تأثير الحروب على الحياة اليومية للأفراد، وكيف تغيرت العلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية في ظل الصراعات المستمرة. كما تسلط الضوء على الصمود والتضحية والأمل الذي ينشأ من وسط هذا الدمار والتشرد.

"حروب ليس لها اسم" تعتبر رواية مؤثرة تجعل القارئ يتأمل في الآثار العميقة للحروب والصراعات على الأفراد والمجتمعات، وتوفر نظرة شاملة للتحديات والتناقضات النفسية والأخلاقية التي يمرون بها في زمن الحروب والتشتت.

"حرب العراق: الطريق إلى المدينة المحرمة"(The Iraq War: The Road to the Forbidden City):

للكاتب باتريك كريسون هي رواية تتحدث عن حرب العراق، وتأثيراتها على السكان المحليين والجنود الذين شاركوا فيها، وتدور القصة حول سلسلة من الأحداث التي تؤدي إلى بدء الحرب وتطوراتها المتلاحقة. وتركز الرواية على الأهوال البشرية التي يتعرض لها السكان المحليين، بما في ذلك التهجير القسري والمعاناة النفسية الناجمة عن الحروب.

كما تقدم الرواية قصصًا شخصية للأفراد الذين يشهدون الدمار والعنف المتصاعد، وتبرز التأثيرات العاطفية القوية التي تنتج عن هذه الظروف القاسية. وتسلط الرواية الضوء على دور الجنود المشاركين في الحرب وتناقضاتهم النفسية والأخلاقية. تستكشف التحديات العاطفية والأخلاقية التي يواجهونها أثناء القتال، وتتساءل عن أثر الحرب على عقولهم وروحياتهم. بأسلوب سردي متشابك، تعطي الرواية نظرة شاملة على حرب العراق وتحاول فهم العواطف والأحداث المعقدة التي تحدث خلف الكواليس، كما تكشف التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تحدث في ظل الصراعات وتسلط الضوء على تأثير الحرب على العلاقات الإنسانية والتصورات الثقافية.

وتعد "حرب العراق: الطريق إلى المدينة المحرمة" رواية مؤثرة تحمل رسالة قوية حول آثار الحروب والتحديات الإنسانية التي تطرحها. وتدفع القارئ للتفكير في الحروب والتعقيدات الأخلاقية المرتبطة بها، وتسلط الضوء على ضرورة التفكير في السلام.

عداء الطائرة الورقية (The Kite Runner):

هي رواية للكاتب خالد حسيني، وتعد واحدة من أشهر الروايات العربية المعاصرة. تدور القصة في أفغانستان، وتركز على حياة صبي يُدعى أمير، الذي يعيش في مدينة كابول خلال فترة الاحتلال السوفيتي في الثمانينيات. وتبدأ القصة بصداقة قوية تنشأ بين أمير وحسن، خادمه الوفي الذي يعتبره أمير أخًا له. تتناول الرواية قضايا مختلفة مثل الصداقة، والخيانة، والتضحية، والانتقام. وتتطور الأحداث بشكل مثير للاهتمام عندما يشهد أمير حادثة مؤثرة تؤثر بشكل كبير على حياة صديقه حسن. تتعقب الرواية حياة أمير على مر السنين وتأثير الأحداث التي شهدها في طفولته على حياته البالغة.

تكشف الرواية أيضًا العواطف الداخلية لأمير، مثل الندم والغموض والبحث عن الهوية والتوازن بين الخطأ والصواب. "عداء الطائرة الورقية" تحمل رسالة قوية حول العدالة والمغفرة وقوة الصداقة. وتعرض الواقع المأساوي لأفغانستان في تلك الفترة وتعكس التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها البلاد. وتتميز بأسلوب سردي ممتع وعميق يجذب القارئ ويجعله يتعاطف مع الشخصيات وينغمس في العالم الذي يصوره الكاتب. وتعد "عداء الطائرة الورقية" رواية مؤثرة تحمل الكثير من الدراما والتعقيدات النفسية وتعرض قضايا هامة تستحق الاهتمام والتأمل.

"حي النصر" (City of Thorns):

هي رواية للكاتب بن روجرز (Ben Rawlence)، نُشِرَت في عام 2016. تنتمي الرواية إلى النوع الأدبي غير الخيالي وتحمل مضمونًا تحقيقيًا وتقريريًا. وتتناول "حي النصر" حياة اللاجئين الصوماليين في مخيم داداب في كينيا، حيث يعيش آلاف الأشخاص الذين فروا من الصراعات الدائرة في بلادهم. وتتركز الرواية على قصص الأفراد وتنقل تجاربهم ومعاناتهم في ظروف صعبة وقاسية داخل المخيم. وتسلط الرواية الضوء على الواقع اليومي في المخيم، من الفقر والعنف إلى التهميش والهجرة غير الشرعية وتجارة البشر.

وتكشف الرواية أيضًا العلاقات الاجتماعية والقوة الروحية للأفراد، وقدرتهم على الصمود والتأقلم في مواجهة التحديات الصعبة. وتهدف "حي النصر" إلى إلقاء الضوء على قضية اللاجئين ونشر الوعي حول التحديات الإنسانية التي يواجهونها في المخيمات.

وتعمل الرواية على إحداث تأثير إنساني وتوعية القراء بحاجة التفهم والتعاطف والتغيير في السياسات العالمية المتعلقة باللاجئين. وتُعَدُّ "حي النصر" رواية مؤثرة ومهمة حظيت بإشادة واسعة، فهي تصوّر بعمق وملموس حياة اللاجئين وتسلّط الضوء على القضايا الإنسانية العاجلة. كما تُعَدُّ هذه الرواية تحفة أدبية تعكس الغرض الحقيقي للأدب في التوعية والتأثير الاجتماعي.

في ختام هذا الفصل، يظهر لنا بوضوح أن الحرب قد شكلت محورًا مهمًا في الأدب عبر التاريخ. من خلال القصص والروايات التي تناولت هذا الموضوع، فقد وجد الكتّاب وسيلة للتعبير عن تأثيرات الحروب على البشر والمجتمعات، وأظهروا الجوانب الإنسانية والنفسية لهذه الظاهرة الوحشية. سواء في الأدب الكلاسيكي أو الأدب المعاصر، كما استطاعوا رصد أوجاع الحرب وترويضها في صفحات رواياتهم. من خلال تسليط الضوء على الخسائر البشرية، والعنف القاسي، والتحديات النفسية، ولقد أثرى الأدب عالمنا بفهم أعمق للحروب وقدرتها على تشكيل وتحطيم الأفراد والأمم.

وتتنوع روايات الحرب في أساليبها وتصويرها، فمنها ما يركز على المشاهد العسكرية والاستراتيجية، ومنها ما يسلط الضوء على تأثيرات الحروب على الحياة اليومية للأفراد والعلاقات الإنسانية. بغض النظر عن التناوب التاريخي والثقافي، يبقى الأدب وسيلة فعالة لنقل تجارب الحرب وتسليط الضوء على قضاياها المركزية. وبهذه الطريقة، يستمر الأدب في الحفاظ على ذاكرة الحروب، ويعزز فهمنا للماضي والحاضر، ويشكل دعوة للتأمل والتغيير. يذكّرنا الأدب بأهمية السلام والتفاهم الإنساني، ويحثنا على العمل من أجل عالم أفضل حيث لا مكان للحروب والعنف.

في النهاية، يبقى الأدب نافذة تتيح لنا النظر إلى أعماق الإنسانية وتعلمنا دروسًا قيمة عن الحروب وآثارها. وقد يكون الأدب أحد أهم الأدوات التي تسهم في بناء عالم يسوده السلام والتعاون الإنساني.

ثالثا: الحرب في الأدب العربي:

عني الأدب العربي كغيره من الآداب العالمية بظاهرة الحرب، وظاهرة تحولها إلى مؤلفات وإبداعات متنوعة الأجناس امتدت على طول فترات التاريخ العربي قديمة وحديثة.

ولقد كانت الحرب مظهرا واضحا من مظاهر الحياة العربية قبل الإسلام، وكان لدى العرب إكبار وتعظيم للبطولة والشجاعة والاستعداد للخطر فلا عجب "أن نجد أن معظم قصائد العصر الجاهلي أو كلها لم تخلو واحدة منها من الحديث عن الحرب أو ما يتصل بها".[1]

1. الحرب في الأدب الجاهلي:

نجد بداية حرب البسوس التي كانت بين **الأوس والخزرج**، فالعرب كانوا أمة سبقت سيوفهم أيديهم خاصة في المجتمعات الرعوية، ومن الشعراء الذين خاضوا خلالها غمار حروب طويلة نجد "امرؤ القيس" مع قبيلة أسد التي أقدمت على قتل والده حجر. كما واجه الشاعر "المهلل التغلبي" خال "امرؤ القيس" ظرفا مشابها عندما قتلت قبيلة بكر أخاه "كليبا"، فلم يقبل بغير الحرب حلا معها للأخذ بثأر أخيه.[2]

وكذلك حرب **داحس والغبراء** التي كانت بين قبيلتي **عبس وديبيان** وقد برز خلالها الشاعر عنترة بن شداد حيث يقول في شعره عن الحرب.

[1] د. علي الجندي، شعر العرب في العصر الجاهلي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، صفحة 63.

[2] كامل عبدو ربه حمدان، الصورة البشعة للحرب في العصر الجاهلي، مجلة الفاسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان3و 4، المجلد 2007، ص 10.

دَعوني أُوَفّي السَيفَ في الحَربِ حَقَّهُ وَأَشرَبُ مِن كاسِ المَنِيَّةِ صـــافِيا

وَمَن قـــالَ إِنّي سَيِّـــدٌ وَابنُ سَيِّـــدٍ فَسَيفي وَهَذا الرُمحُ عَمّي وَخـالِيا[1]

وَنَحنُ الموقِدونَ لِكُلِّ حَربٍ وَنَصـــلاها بِأَفئِدَةٍ جَـــرِيَّه

مَلَأنا الأَرضَ خَوفاً مِن سَطانا وَهابَتنا المُلوكُ الكِـسرَوِيَّه

وقوله أيضا:

وَرُحنا بِالسُيوفِ نَسوقُ فيهِم إِلى رَبَواتِ مُعضِـــلَةٍ خَفِيَّه

وَكَـــم مِن فارِسٍ مِنهُم تَرَكنا عَلَيهِ مِن صَوارِمِنا قَضـــيَّه

فَوارِسُنا بَنو عَبسٍ وَإِنّـــــا لُيوثُ الحَربِ مـــا بَينَ البَرِيَّه [2]

وندم الكثير من الشعراء على الحروب التي خاضوها لما خلفته من آلام ومنهم "امرؤ القيس" حيث يقول

الحَرْبُ أَوَّلُ مـــا تكـــونُ فَتِيَّةً تَسْعَى بِزِيْنَتِها لكـلِّ جَهُـــولِ

حتى إذا اسْتَعَرَتْ وَشَبَّ ضِرَامُها عَادَتْ عَجُوزًا غيرَ ذاتِ خَلِيلِ

شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَـــهَا وَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقْبِـــيلِ [3]

عبر الشاعر عن تجربته الطويلة في الحرب فرسم لها صورة قبيحة، حيث شبه الإقدام عليها بالفتاة الجميلة التي إذا بلغتها تجدها عجوزا مشؤوما قبيحة المنظر وكريهة الرائحة.

2. الحرب في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام:

[1] ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه حمد وطماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2004، صفحة 192.

[2] ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه حمد وطماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2004، ص190-192 .

[3] كامل عبدو ربه حمدان، الصورة البشعة للحرب في العصر الجاهلي، مجلة الفاسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان3و 4، المجلد 2007، ص 10.

لم تسلم فترة حياة "الرسول عليه الصلاة والسلام" من الحروب وآدابها، لكن ما ميز هذه الفترة ما ترسخ فيها من قيم ومبادئ لاحظنا غيابها في الفترات الأخرى، ومن أهمها أن يكون القتال في سبيل الله لذلك اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم إن كل قتال لا يقصد به وجه الله تعالى فهو لا يتوافق مع أخلاق الحرب في عصر الرسالة، التي لا تبيح العدوان ولا الغدر ولا نقض العهود، ولا تتيح القتال إلا لدفع الظلم وإحقاق الحق وجعل كلمة الله هي العليا.[1]

وكان الاستعداد للحرب في تلك الفترة بإعداد القوة ورباط الخيل لقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾. **(الانفال، الآية 60)**

وقال عز وجل ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ **(البقرة، 19)**

فلا قتال في الإسلام إلا بسبب شرعي خالص لوجه الله تعالى.[2]

وكان من آداب الحرب آنذاك الصبر على القتال وآلامه، يستمدون ذلك من هدى الكتاب الذي مدح الصابرين وأعلن محبتهم وهذا ما استلهمه أصحاب "الرسول عليه الصلاة والسلام" فيما مر بهم من حروب وشدائد، حيث كانوا يتسلحون بالصبر، فيستمدون منه طاقات إضافية تزيد من قدرتهم على المطاولة في انتظار ساعات النصر.

قال تعالى: ﴿**وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ**﴾ **(الرعد، 22)**[3]

[1] حامد محمد الخليفة، أخلاق وآداب الحرب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2009، ص 45 .

[2] المصدر نفسه، ص110 .

[3] المصدر نفسه، ص 140 .

ومما كان يدفع المسلمين للحرب أيضا حبهم للموت في سبيل الله وبالتالي نيل الشهادة، ولمكانتها العظيمة في الإسلام فقد كانت ولا زالت محل تنافس بين أهل البذل والعطاء، وطلاب الجنة.

كما حصل" لعمر بن الجموح" وبنوه رضي الله عنهم فقد كان "عمر بن الجموح " أعرج شديد العرج، وكان له أربع بنون شباب يغزون مع "رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا غزا، فلما أراد" الرسول صلى الله عليه وسلم " أن يتوجه إلى أحد قال له بنوه إن الله عز وجل قد جعل لك رخصة فلو قعدت فنحن نكفيك فقد وضع الله عنك الجهاد فأتى" رسول الله صلى الله عليه وسلم" فقال" يا رسول الله "إن بني هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك والله أرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه الجنة فقال له "رسول الله صلى الله عليه وسلم" أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد وقال لبنيه وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة، فخرج مع" رسول الله صلى الله عليه وسلم" فقتل يوم أحد شهيدا[1].

في الأخير يمكننا أن نقول إن الحروب وقت الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن بغرض سفك الدماء دون وجه حق، بل كانت غايتها القتال في سبيل الله، حتى وإن قضت الحاجة إلى الحرب فهي مقيدة بشروط وآداب أهمها تحريم قتل النساء والأطفال والمسالمين وعدم نقض المعاهدات والصلح، وهذا ما لم يرى له مثيل في الحروب الأخرى.

3. الحرب في العصر الأموي:

وفي العصر الأموي، وجد الأمويون أنفسهم في حياة غير التي عرفها العرب قبل الإسلام، فحياة الأمويين في تحضر وشعرهم في تطور ورغم كل هذا التطور، فقد ورثوا الحرب من العصر الذي سبقهم رغم اختلاف الأسباب والغايات فالنتيجة واحدة هي سفك الدماء وإباحتها، ونجد على سبيل المثال : الذي كان من زفر بن الحارث بعد وقعته **مرج راهط، وذلك** بعد أن التقى" مروان ابن الحكم "ب "الضحاك بن قيس الظهري " و عامة أصحابه فاقتتلوا **بمرج**

[1] حامد محمد الخليفة، أخلاق وآداب الحرب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2009، ص162 .

راهط.[1] قتالا شديدا تكشف عن مقتل الضحاك وجانب من صحبه وانهزام بقيتهم، فكان زفر بن الحارث الشاعر الكلابي في المنطلقين فآوت قيس إلى إمرته وكان من السراة الأغنياء تنزل به الأجناد في زودها بالعتاد والطعام، وكان له غلمان وحشم وهو موضع مشورة ونصح للمحاربين فذكر حرب **مرج راهط** وتحفزه للثأر وجعل يتوعد عداته **المراونيين** فقال:

أَرِيني سِلاحِـــي لا أبالـــكِ إنّي ... أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تمـــادَيا

أتانِيَ عَن مَرْوَانَ بالغَيب أنّـــــه ... مقيدٌ دَمي أو قاطعٌ من لِسَـــانِيَا

فَلاَ تَحْسبُوني إذَا تَغَيَبْتُ غَـــافِلَا ... إذا نحـنُ رفّعنـا لَهُـنَّ بِلْقَـــائِيَا

فَقد يَنبُتُ المَرعى على دَمِن الثَّرَى ... وتَبقَى حزازات النُّفوس كَمَـا هِيَـا

أتذهَبُ كَلبُ لم تَنَلهـــا رِماحُنَا ... وتُتركُ قَتلَى راهـطٍ وهيَ ما هِيـــَا

فلا صُلحَ حتى تَنحِطَ الخيلُ بالقَنَا ... وتثأرَ مِـن نِسوَان كلـب نِسَـــائِيَا

قال هذا الشعر وفي نفسه نقمة دفينة على من حاربه في **وقعة المرج** وقد أظهر الألم الشديد وحزازات النفوس التي تركتها هذه الواقعة وأنها لن تزول مهما حدث.[2]

ويتجلى شعر الحرب عند "الفرزدق" في عودته إلى أيام قومه القديمة وجيشهم اللجب وذلك في قوله:

وَكَمْ مِنْ رَئِيسٍ غَادَرَتْهُ رِمَاحُنَـا ... يَمُجُّ نَجِيعًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَحْمَـــرَا

وَنَحْنُ صَبَحْنَا الْحَيَّ يَوْمَ قُرَاقِرٍ ... وَنَحْنُ مَنَعْنَـا يَوْمَ عَيْنَيْـنِ مِنْقَرَا

[1] الدكتور زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف بمصر، 1961، ص39 .

[2] الدكتور زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف بمصر، 1961، ص39

وَنَحْنُ حَدَرْنَا طَيِّئًا عَنْ جِبَالِهَا وَنَحْنُ حَدَرْنَا عَنْ ذُرَى الْغَوْرِ جَعْفَرَا [1]

4. الحرب في العصر العباسي:

ولم يكن الشعر الأموي صالحا لزمن **العباسيين** فمعانيها البدوية الموروثة عن الصحراء أصبحت غريبة أو كادت تصبح مكروهة في العصر العباسي وتميزت موضوعات شعر الحرب العباسي بالحماسة وقد نقل لنا " أبو العلاء" أبيات حربية فقال:

قَتَلَتِ النَّاسَ إِشْفَاقًــا عَلَى نَفْسِيٍّ كَيْ تَبْقَــى

وَحُزْتُ الْمَالَ بِالسَّيْفِ لِكَــيْ أَنَعُمَّ وَلَا أَشْقَــى

هُــنَّ أَبَصَــرَ مَثــوْاِي فَلَا تَظَلُّــمُ إِذَا خَلَقَــا

فَوَا وَيَدِيٌّ إذاً مَــا مَتِّ عِنْــدَ اللهِ مَــا أَلْقَــى

آخلــدَا فِي جِــوَارِ اللهِ ام فِــي نَــارِ القــى [2]

وقد نقل "أبو العلاء" هذه الأبيات في أوائل ثورته وقبل ادعائه النبوة فقد قتل الناس خوفا من أن يقتلوه وقد بين سبب جمعه للمال، وهو العيش في النعيم وقد تنبأ بموته وأبدى في بيته الأخير خشوعا لله وخوفا من ناره.

كما نقل لنا "ابن الرومي" ما لحق البصرة من تحريق أركانها فقال:

بُدِّلَتْمْ تِلكُمُ الْقُصُــورِ تِلالا مِنْ رَمَــادٍ وَمَنْ تُرَابِ زُكَــام

سُلِّطَ البَثْقُ وَالْحَرِيقُ عَلَيْهُــمْ فَتَدَاعَــتْ أَرْكَانُهَــا بِــانْهِــدَامِ

[1] المصدر نفسه، ص 44 .

[2] الدكتور زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف بمصر، 1961، ص142

وَخَلَّـتْ مِنْ حُلُوهِا فهْي قَفْرٌ لَا تَرَى الْعَيْنَ بَيْنَ تِلْكَ الأكام

غَيْـرَ أَيْدٍ وَأَرْجُـلِ بَائِنَـاتٍ ة نُبِذَتْ بَيْنَـهُنَّ أَفْلَاقُ هَـامَ

وكان هذا نتيجة الثورة التي قام بها عبيد البصرة وخدمتها على أسيادهم بعد طول جور واستعباد.[1]

5. الحرب في العصر المملوكي:

وإذا ما نظرنا إلى العصر المملوكي فإننا نجده أكثر امتلاء بالحروب الخارجية وكان أسرع ملوكه وأمرائه إلى تلبية ندائها كلما دعت والاستجابة لها كلما أهابت، ومن يركز في تاريخ هذه الحقبة الفريدة من تاريخ مصر يجد أن جيشها كان يكافح عدوين لدودين طاغيين معتدين هما "**التتار**" "**والفرنجة**".

وقد نظم أديب العصر وشاعره "محي الدين بن عبد الظاهر" هذه الأبيات يصف فيها جنود مصر ومغامرات بيبرس في حرب **التتار** فقال:

تَجَمَّعَ جَيْشُ الشِّرْكُ مِنْ كُلُّ فِرْقَةٍ وَظَنُّوا بأنَا لَا نُطِيـقُ لَهُمْ غَلَبَـــا

وَجَاءُوا إِلَى شَطِّ الْفُرَّاتِ وَمَا دَرُوْا بِأَنَّ جِيَـادَ الْخَيْـلِ تَقْطَعُـهُ وَثْبَـا

وَجَاءَتْ جُنُودُ اللهِ فِي الْعَدَدِ الَّتِي تَمَيَّسٌ لَهَا الْأَبْطَالُ يَوْمَ الْوَغَى عَجَبًا

فَعَمَّنَا بِسَدٍّ مِنْ حَديدِ سِبَـاحَةً إِلَيْهِـمْ فَمَـا اسْـطَاعَ الْعَدُوَّ لَـهُ نَقْبَا

[1] المصدر نفسه، ص144

تتحدث هذه الأبيات عن شجاعة "بيبرس" وجنوده فإنه خاض نهر الفرات بنفسه للقاء التتار على شاطئه الآخر فاندفع جنوده في أثره خائضين، فدحروا العدو وشتتوا شمله وقد ذكر في البيت الثالث الجنود بأنهم جنود الله أي أنهم يجاهدون في سبيل الله وحماية دينه، وقد أبدع الشاعر في البيت الرابع إذ يقول فعمنا سدا من حديد كناية عما يلبسون من درع وما يحملون من سلاح وعما فيهم من جرأة وهذه أهم أدوات النصر وقد انتصروا فعلا وفي العبارة الأخيرة شيء من الاقتباس وفيه إشعار بتشبيه سدهم هذا بسد **ذي القرنين**.[1]

وأخيرا فإن حروب العصر المملوكي كان لا بد من خوضها، فهم لم يكونوا في كفاحهم جانين أو معتدين وإنما كانوا يدافعون عن ممتلكات مصر وأرض المسلمين ومقدساتهم فلم تكن حروبهم حروب أطماع وأهواء، ولكن حروب دفاع ورد اعتداء.

6. الحرب في العصر الأيوبي:

إذا سلطنا الضوء على العصر الأيوبي فإننا نجد أن الحرب عندهم تتجلى في دفاع المسلمين عن دينهم بعد أن اختلس الغاصبون الأرض ودنسوا العرض وحاولوا اجتثاث شأفة الإسلام بقتل أبنائه ورفع صليب مكان الهلال فكان لزاما أن يدافع المسلمون عن مقدساتهم وأوطانهم.

لقد صور "ابن سيناء" الملك- أحداث هذه الحروب الطاحنة بين سلاطين الدولة الأيوبية وملوكها وقادتها وكتابها من جانب وقوى الغزو الصليبي من جانب آخر فوصف الجيوش الإسلامية وهي تقاتل من أجل الدين كما وصف ضخامة الجيش الإسلامي وشجاعته وصموده وآلاته وأسلحته في وجه الأعداء. وأول ما يطالعنا من ذلك تصويره لضخامة الجيش الإسلامي بقيادة "صلاح الدين" وأنه كالبحر المتلاطم الأمواج، الذي عرك الحرب عركته فاستعد لها بالسيوف القاطعة والدروع..... يقول:

[1] الأستاذ محمود رزق سليم، طرائف من العصر المملوكي، مجلة الرسالة، 1948، العدد 780، ص 40 .

أَتَى إِلَيْهَـا يَقُودُ الْبَحْرُ مُتَلَطِّمًـا وَالْبُيْضُ كالمَوْجِ وَالْبَيْضَاتِ كَالْحَبَبِ

تَبْدُو الْفَـوَارِسُ مِنْهُ فِي سَوَابِقِهَـا بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمَنْ لَهَـبِ

مُسْتَلْئِمِين وَلَوْلَا أَنَّهُـمْ حَفِظُـوا عَوَائِدَ الْحَرْبِ لِاسْتَغْنَوْا عَنِ الْيَلَـبُ

جَمَالَهُمْ مِنْ مغازي هُمْ إِذَا قَفَلُوا حَمَّالَةَ السَّبِيِّ لَا حَمَّـالَةُ الْحَطَـبِ [1]

وإذا تم للجيش اكتماله من ناحية العدد والعدة واشتماله على أسد ضاربة تمتلئ شجاعة وإيمانا، وتحمل عتادا خفيفا وثقيلا، كالسيف والرمح، وآلات الحصار المختلفة، فإن هذا الجيش صار لقتال الأعداء، فإنه لا يرضيه إلا إذا ترك بلادهم قاعا صفصفا خاوية على عروشها. فهذه إذن صورة أخرى من صور وصف المعارك في شعر "ابن سيناء الملك" يمدح فيها "العادل بن أيوب" ويصف بلاد الأعداء.

تَخُرُّ الْجِبَالُ الشَّمُّ خُوَّفَ خُيُـولِهِ وَتُنْدِكّ رَعْبَا قَبْلَ وَقْعِ الْحَوَافِرِ

سَنَابِكَهَـا بَيْـنَ الْعَرِيـشِ وَغَزَّةٍ وَعِثْيَرِهَا بَيْنَ الْعُذَيْـبُ وَحَاجِرٌ

يَزْرِو الأَعَادِي فِي حُصُونِ شَوَامِخٍ وَيَنْقُلُ مِنْـهَا عَنْ طُـولِ دواثر [2]

يصف الشاعر جيوش الملك العادل وخيوله التي تذلل كل صعب وتدك كل جبل أشم.

وأخيرا فإن الحروب في العصر الأيوبي لم تكن لغرض الطمع وغيرها بل كانت للدفاع عن حق المسلوب، وبغية نصرة الإسلام على اعتداء الصليبيين، لذا فقد كانت حروبهم دفاعا عن الأرض والعرض.

7. الحرب في العصر الفاطمي:

[1] إبراهيم نمر موسى، شاعر الحرب في العصر الأيوبي، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، رام الله، ط1، 2007، ص 46 .

[2] إبراهيم نمر موسى، شاعر الحرب في العصر الأيوبي، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، رام الله، ط1، 2007، ص 53.

يخيل لكل من يقرأ تاريخ الفاطميين في مصر أن مصر في هذا العهد كان يسودها الأمن وأن المصريين كانوا يعيشون في دعة ولين، فقد تحدث المؤرخون عن النعيم الذي ساد في العصر الفاطمي والترف الذي كان يرفل فيه المصريون، لكن المؤرخين أنفسهم تحدثوا أيضا عن لون آخر من الحياة هي حياة الاضطرابات والحروب الكثيرة التي كان يشنها أعداء الفاطميين على بلادهم وعلى ممتلكاتهم.[1] وخير مثال على هذه الحروب، ما حدث في عهد الملك الصالح" طلائع بن رزيك"، حيث كان الصليبيون يمعنون في شن غاراتهم على حوران وما حولها من البلدان، ووردت الأنباء بأن عسكر المصريين استولى على عسقلان وقتلوا من بها من عسكر الفرنج، وسر المصريون بذلك الانتصار سرورا عظيما نلمح أثره في قصيدة الملك الصالح التي أرسلها إلى أسامة بن منقذ صاحب حصن شيزر، وأحد الأمراء الذين كانوا يساعدون "نور الدين زنكي" في حروبه ضد الصليبيين:

أَلَا هَكَـذَا فِي اللهِ تَمْضِـي الْعَزَائِـمِ وَتَمْضِي لَدَى الْحَرْبِ السُّيوفُ الصَّوَارِمُ

وتُسَتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدِ عِزِّهِـمْ وَلَيْسَ سِوَى سُمَّـرِ الرُّمَّـاحِ سَلَالِـمَ

وَتُغْزَى جُيوشُ الْكُفْـرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا وَيَـوْطَّا حَمَـاهَا وَالْأَنُـوفَ رَوَاغِـمُ

وَيُوفِي الْكِـرَامُ النَّـاذِرُونَ بِنَذْرِهِـمْ وَإِنْ بَذَلَتْ فِيـهِ النُّفُوسَ الْكَرَائِـمُ

وَوَاجَهَهُـمْ جَمْـعُ الْفَرْنَجِ بِجَمْلَـةٍ تُهَوِّنُ عَلَى الشُّجْعَانِ مِنْهَا الْهَزَائِـمُ

وَعَادُوا إِلَى سِلّ السُّيوفِ؛ فَقَـطَّعَتْ رُؤُوسٌ وَحُـزْتُ لِلْفَرْنَـجِ غَلَاصِـمُ

فَلَـمْ يَنْجُ مِنْهُـمْ يوم ذاك مُخْبَـرٌ وَلَا قِيلَ: هَذَا وَحْدَهُ الْيَوْمَ سَـالِـمُ [2]

[1] محمد كامل حسن، في أدب مصر الفاطمية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 279 .

[2] محمد كامل حسن، في أدب مصر الفاطمية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 279 .

وأخيرا، فإن الحروب الصليبية جعلت الشعراء المصريين ينشدون أشعارا حماسية، يمدحون فيها شجاعة جنود مصر الذين أخذوا على عاتقهم طرد الصليبيين من فلسطين، في حين بقيت الدويلات الإسلامية تنظر إلى هذه الحروب نظرت عدم اكتراث، وقد بذا المصريون في هذه الحروب جهودا كثيرة سجلها الشعراء الفاطميون في شعرهم.

8. الحرب في العصر العثماني:

بعد الفتح العثماني للشام ومصر في 1515، زاد اهتمام الأتراك العثمانيين بالأدب العربي شعرا ونثرا كثر الأدباء والشعراء. وفي إشارة واضحة إلى ما كان عليه جيش الروم من كثرة العدد ينبه "أحمد فارس الشدياق" إلى أن الكثرة والقلة في عدد المقاتلين ليست مدار النصر والهزيمة إنما العبرة بالحق الذي يدافع عنه جيش المسلمين فيقول:

طَغَتْ الطُّغَاةُ الرُّوسُ لَمَّا غُرْهُمْ فِي الْأَرْضِ كَثَّرُ سَوَادَهُمْ وَتُجْبِرُوا

لَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثِيـــرُ جُمُوعِهِـمْ فَالْـحَقِّ لَيْسَ يَضِيــرُهُ الْمُسْتَكْثِرُ

وينبه "عبد الله فكري" إلى ذات المعنى فيقول:

وَقَدْ غُرْهُمْ مِنْ قَبْلَ كَثْرَةٌ جَيْشِهِمْ فَلَمْ يُغَنِّ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْجَيْشِ وَالرَّكْبِ [1]

حيث أن الحروب التي جرت كانت للدفاع عن الإسلام ومحاربة الكفر، فأولئك المقاتلون يلبون النداء إلى القتال في سبيل الغيرة على الدين وحمايته فيقول "عبد القادر الجزائري":

جَيْشٌ إِذَا صَاحَ صِيَاحَ الْحُروبِ لَهُمْ طَـــارُوا إِلَى الْمَوْتِ فَرَسَّانَا وَرَجَّلَانَا

هُمْ الْجِبَـالُ ثَبَاتَـا يَوْمِ حَرْبِهِـــمْ فَصَابِرٌ مِنْ عَدَاهُـــمْ صَبَرَهُ خَـانَـا

هُمْ اللُّيُوثُ لُيُـــوثَ الْغَابِ غَاضِبَـةً وَاللَّيْثَ لَا يَلْتَقِي إِنَّ كَـــانَ غَضَبَانَـا

[1] عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني، الشعر وحروب الخلافة العثمانية، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1412 هجري، ص 16-17 .

هُمِ الْأُلَى دَأْبِهِمْ شِقَّ الصُّفُوفِ لَدَى حَمْلَاتِهِمْ صَارَ جَيْشُ الْكَفْرِ دَهْشَانَا [1]

ولم يغفل الشعراء عن ذكر الأدوات القتالية، فقد وظفوها في شعرهم وفي ثنايا قصائدهم، فالمدفع عندما يطلق يغطي دخانه السماء وتندفع نيرانه في كل مكان، صوته شبيه بصوت الرعد ودويه كما قال "عبد الباقي العمري"

مُدَافِعُ غَطَتْ الدُّنْيَـا نَمَائِمَهَا فَغَادَرَتْ صَبَحَ يَوْمَ الْحَرْبِ ديجورا

أَفْوَاهَهَا دَلَعَتْ لِلنَّـــارِ أَلِسَنَة فَقَرَّرَتْ دَرْسُ مَلَكَ الرُّوسَ تَقْــرِيرًا [2]

ويظهر أخيرا أن خوض العثمانيين لغمار الحرب، كان لا بد منه وذلك دفاعا عن دين الحق والإسلام، فالغيرة على الإسلام لدى الجندي المسلم تجري في عروقه ولا يحتاج فيها إلى دروس ومواعظ تقدم له.

9. الحرب في العصر الحديث:

وإذا ما انتقلنا إلى موضوع الحرب في الأدب العربي الحديث فنجد أن البلاد العربية شكلت مسرحا، توالت عليه حروب مختلفة، عكست أزمة ثقافية عربية معاصرة تجاذبتها أطراف عدة، فانعكست آثارها في العديد من الإبداعات الأدبية التي نقلت حال مجتمع الحرب البائس. وسنركز على نوع الرواية ومن أمثلة ذلك نجد رواية "أم السعد" التي يقدم فيها "غسان كنفاني" لوحة نضالية عن تجربة العيش في المخيمات الفلسطينية وسط القتال مستعينا بشخصية "أم السعد" مثال المرأة الفلسطينية المقاومة[3].

وصور بعض الروائيين في الجزائر مشاهد معارك كشفوا من خلالها عن بطولات الفرد الجزائري في مواجهته للآخر الفرنسي، مثلما يقف عليه المتلقي في رواية "على جبال الظهرة " لمحمد ساري" ومن الروايات الأخرى، التي تناولت الثورة

[1] المصدر نفسه، ص 20

[2] المصدر نفسه، ص22

[3] أحمد هاشم السامرائي، استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، العدد 231، ج 4، 2014، ص 11 .

رواية اللاز "للطاهر وطار" حيث تعد من أكثر الروايات الجزائرية التصاقا بالثورة، حاول الكاتب من خلالها أن ينقل للملتقي مقاومة أهل الريف للجيش المستعمر الفرنسي، وكذا معارك جيش التحرير[1] ولذلك جاءت **اللاز** كإنجاز فني جريء وضخم يطرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة الجزائرية[2].

ولقد تركت حرب 67 أثرا كبيرا على الأدب العربي إذ راح أغلبية الأدباء يدعون إلى الثأر من العدو وجسدوا ذلك في إبداعاتهم، ولعل أبرز الدول التي انتعشت أدبيا من هذه الحرب نجد فلسطين ولبنان ويعود سبب ذلك. أنهما كانتا في قلب الحدث. وانطلقت على مستوى القصيدة وموضوعاتها تجربة جديدة، فقد ظهر إلى جانب ذلك ما اصطلح على تسميته بشعر المقاومة ونذكر من هؤلاء الشعراء "محمد درويش"، "سميح القاسم"، "معين بسيسو"، "فدوى طوقان" وكانت الأرض هي محور الكتابة عندهم.... وقد أخذ الأدب الفلسطيني عموما إلى فلسفة أدبية جديدة من حيث العمق الإنساني والتراجيدي والوطني[3].

ومن أبرز الإبداعات التي انبثقت عن هذه الحرب نجد قصيدة "هوامش على دفتر النكسة لنزار قباني" والتي صرح من خلالها في وجه الأمة العربية بعد هزيمة 1967، وكذلك بعد حدوث المصيبة الكبرى باحتلال سيناء والحولان واتساق بقعة الاحتلال في فلسطين[4].ونجد ايضا قصيدة "أمل دنقل" " لا تصالح "حيث كتبت هذه الأخيرة تزامنا مع زيارة الرئيس المصري الأسبق "أحمد السادات" للقدس والتي عرض خلالها على عدم الصلح مع العدو الظالم.

[1] د. وذناني بوداود، صدى ثورة التحرير في الرواية. الجزائرية، ص 18 .

[2] واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 90 .

[3] أنظر خالد بريش، هزيمة 67 فتحت ابوابا موصدة في الايداع http:www.arab48.com

[4] احمد ابراهيم الشريف، هوامش على دفتر التكنة.... صراخ نزار قباني في وجه الامة http://www.youm7.com

وإذا انتقلنا إلى الرواية نجد أغلبها يرتبط بنكسة حزيران، وتحرير فلسطين، واسترداد الأرض العربية المحتلة وخير مثال على ذلك رواية "عودة الطائر إلى البحر لحليم بركات" والتي كتبها بعد اندلاع الحرب، حيث وصف خلالها الأيام الستة التي كانت نتيجتها هزيمة قاسية تكبدها العرب.

وإذا ما سلطنا الضوء على النماذج الروائية المصرية نجدها بلا موقف ومتسلسلة، كما فرضه الواقع فهناك من يدعو إلى التطبيع والقبول بشرط العدو ومنهم "توفيق الحكيم" في رواية "عودة الروح"، وكذلك رواية "فجر الزمان القادم لعبد الله الطوخي" إذ دعا إلى المحبة والتسامح مع إسرائيل وعدم اعتبارها عدوا[1].

وأخيرا فإن موضوع الحرب في الأدب العربي أسال الكثير من الحبر سواء قديما أو حديثا، وعلى الرغم من الخراب الذي ألحقه بالبنى التحتية والمجازر التي نتجت عنه والآلام والمآسي التي خلفها، فقد كان انعكاسه على مستوى الأدب إيجابيا، فقد أثرى هذا الموضوع الأدب العربي وكان بمثابة المنصة التي يعبر فيها الشعراء والكتاب عن قضايا ومشاكل عصرهم كل حسب وجهة نظره ومقدما الحلول التي يراها مناسبة.

رابعا: الحرب في الأدب الجزائري:

عرفت الجزائر الحرب عبر تاريخها المليء بالصراعات، ويعود ذلك على الأرجح إلى أنها تحتل منطقة جغرافية وثقافية إستراتيجية، فهي في حدود البحر الأبيض المتوسط وتعد بوابة على أوروبا، ولها جذور رومانية قديمة. كما أنها دولة يدين معظم سكانها بالإسلام، ولها علاقات تاريخية قديمة مع المشرق. وبهذا فهي متصلة بالغرب والشرق.

وبسبب هذه المكانة الجغرافية والثقافية والتاريخية، مرت الجزائر بحروب عديدة، منها القديمة جداً في أيام الرومان، ومنها الحديثة، والتي أشهرها حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي الذي احتل الجزائر مدة مئة وثلاثين سنة. فكثيرة

[1] شهرة بالغول، الرواية العربية ونكسة حزيران 1967، مجلة الكلمة، 2013، العدد 73، ص 40 .

هي الممالك والدول التي أرادت السيطرة على الجزائر، بسبب مكانها الاستراتيجي، لأسباب سياسية واقتصادية وحتى دينية وثقافية.

وبما أن الأدب رفيق الشعوب في أفراحها وأحزانها، وفي كل تقلباتها التاريخية والاجتماعية، فإن الأدب لم يغب عن تدوين وتصوير الحروب التي مرت بها الجزائر عبر تاريخها الطويل الحافل بالحروب والبطولات والمعاناة والمآسي التي تجلبها الحرب على من يقع تحت نيرها، من جنود ومحاربين ومدنيين عزل وغيرهم.

ويتيح الأدب إمكانية تسليط الضوء على مختلف جوانب الحرب، بدءًا من التجارب الشخصية للأفراد الذين يشاركون في القتال، وصولاً إلى تأثيرات الحرب على المدنيين والأسر والمجتمعات بشكل عام. ويسهم الأدب في إبراز الألم والمعاناة النفسية والجسدية التي تنجم عن الحرب، وكذلك في تسليط الضوء على الظلم والظروف القاسية التي يتعرض لها الأفراد أثناء الصراعات المسلحة.

وقد أبدع الأدباء الجزائريون في تصوير الحروب التي مرت بها الجزائر في أعمال أدبية خالدة، أسهمت في إيصال صوت الشعب الجزائري إلى أقاصي أنحاء العالم. ولعبت دوراً أساسياً في تقرير المصير في تلك الحروب التي عاصرتها، وكانت كشكل من أشكال القتال والمقاومة.

واعتبرت تلك الأعمال كتأريخ لما عاصرته من أحداث، سواء كانت تلك الأعمال مكتوبة أثناء الحرب أو بعدها. وسنحاول أن نذكر أهم الأعمال الأدبية التي تناولت الحرب في الجزائر:

❖ **الأمير: مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج:** تتناول هذه الرواية شخصيتين تاريخيتين، هما الأمير عبد القادر الجزائري والأسقف الفرنسي أنطوان ديبوش. تدور أحداث القصة أثناء الفترة الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر. وبطل القصة هو الأمير عبد القادر الذي حارب الاحتلال الفرنسي من عام 1832م إلى حين استسلامه في عام 1847م ونفيه في عام 1855م إلى دمشق. وزمن القصة متقطع يتقدم ويتأخر، حيث تبدأ الأحداث مع الأسقف الفرنسي

أنطوان ديبوش، الذي يحاول في الفترة التي كان الأمير فيها سجينًا للسلطة الفرنسية في فرنسا، كتابة رسالة إلى نابليون الثالث، يستحثه فيها على إطلاق سراح الأمير. وتمتد هذه الفترة من عام 1847م إلى 1855م. أما الأحداث التي تغلب على الرواية فهي المعارك الطاحنة التي خاضها الأمير ضد الاستعمار الفرنسي من عام 1832 إلى عام 1847. ويذكر الروائي فيها بطولات الأمير وجنوده البواسل في مواجهة الاستعمار. كما يشير أيضًا إلى المعاناة التي تكبدها الجزائريون العالقون بين جحيم هذه المعارك والظروف القاسية التي تعصف بكل من يخوض غمار الحروب في تلك الفترة، من قتل وجوع وحصار وخيانة ومجازر شنيعة لا حصر لها. وتناولت الرواية أيضًا بطولات وروح المقاومة لدى الأمير عبد القادر والجزائريين في مواجهة الاستعمار، وردهم على الظلم ورفضهم للخضوع. وتعد هذه الرواية تدوينا مهما تتناول فيه شخصية تاريخية مهمة كالأمير عبد القادر وكذلك فترة تاريخية مهمة اشتهرت بتقلبات الحرب والمقاومة والمآسي والصعوبات التي تفرضها الحروب على من يقع تحت نيرها.

❖ **الأفيون والعصا لمولود معمري** : تتغنى رواية "الأفيون والعصا" بحرب الاستقلال، بمحاسنها وتناقضاتها، بأصدقائها وخائنيها، تدور أحداثها في إحدى القرى القبائلية تسمى "تالا" و تروي "تالا" بقلم "مولود معمري" جهاد سكانها أثناء الثورة التحريرية، تروي بجبالها وتلالها القمع الذي تمارسه السلطة الفرنسية يوميا على شيوخ ونساء القرية بسبب دعمهم للمجاهدين ومساندتهم لهم .و بنيت رواية "الأفيون والعصا" على خطوط فاصلة، لكنها متماسكة وواضحة، بحيث وقف الجزائريون المقاتلون على جانب، ووقف الجيش الفرنسي على جانب آخر، وبين الجانبين يقف الشعب الجزائري رافضا الخضوع والاستسلام[1].

❖ **اللاز للطاهر وطار**: وتحكي رواية "اللاز" عن سنوات ثورة التحرير من خلال شخصية اللاز اللقيط المنبوذ الذي أراد أن يغير مجرى حياته فتحول إلى مناضل ثوري، ومن ثم أُلقي القبض عليه من قوات الاستعمار الفرنسية، ولكنه

[1] أوريدة عبود، التمثل السردي للثورة في رواية الأفيون والعصا لمولود معمري، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري – تيزي وزو–ص157

تمكن من الهرب وفر إلى الجبل ليلتقي هناك بعدد من الثوار مع زعيمهم زيدان الرجل الثوري الذي اغتيل في نهاية المطاف بسبب رفضه التخلي عن أفكاره الشيوعية. واللاز في هذه الرواية يجسد الشعب الجزائري الذي طحنه الفقر والشقاء والبؤس، إنه الوطن الذي قرر أن يغير مجرى حياته ويقف في وجه الاستعمار، ورغم أنه ليس ثوريًا ولكنه لم يكن يومًا مستسلمًا، لقد كان مدركًا بفطرته أن ثمة خطأ في الواقع الحاليّ ويجب تغييره، إنه نموذج لجميع الفئات الجماهيرية التحتية التي تعاني من القهر الاجتماعي والاضطهاد، واللاز كلمة أجنبية تعني البطل، أما زيدان فقد جسد صورة المثقف الذي آمن بقضيته ونبلها وحتمية انتصارها وظل يدافع عن أفكاره حتى الرمق الأخير.[1]

❖ **تاء الخجل لفضيلة الفاروق:** تاء الخجل رواية للروائية "فضيلة الفاروق" تتناول قضية اغتصاب النساء في المجتمع العربي بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة أثناء العشرية السوداء التي مرت بالجزائر سنوات التسعينات من القرن الماضي، حيث تتناول قصة البطلة التي تعمل صحفية في جريدة وطنية وتتناول في مقالاتها حالات الاغتصاب التي تمر بها النساء في المجتمع الجزائر من قبل الجماعات الإرهابية في العشرية السوداء التي كانت حربا ضروسا بين الجماعات المسلحة المتطرفة والدولة الجزائرية.

وتتطرق الروائية إلى قصة الفتيات اللاتي حررن من الإرهاب وجلبن إلى المستشفى، بعد أن تم التعدي عليهن نفسياً وجسدياً، في حالة يرثي لها، وكان من بين الفتيات واحدة رفضت الرضوخ للأمير فذبحت أمام البقية، وأخرى اغتصبت فحملت، لكن طبيب المستشفى رفض إجراء عملية إجهاض لها، لإجراءات قانونية، فانتحرت، وأخرى جنت لما رأته في الجبل من ذبح واستغلال وتعذيب.

[1] أسماء بن رمضان، الأدب الجزائري.. رحلة طويلة من تجسيد النضال والثورة، موقع نون بوست https://www.noonpost.com/content/26798، 2023/05/29

❖ **الشمعة والدهاليز للطاهر وطار** : رواية تحكي قصة شاعر وأستاذ جامعي جزائري في فترة العشرية السوداء، حيث يكون شاهد على الهبة التي ألمت بالشباب الجزائري الذي جعله يدير ظهره للثقافة الأوروبية ويرتدي الجبة ويطيل اللحى، ويعود للثقافة الإسلامية، ويكون شاهدا عليهم وهم يتظاهرون أمام أجهزة الأمن التي تطلق عليهم الغاز المسيل للدموع، ويقع الشاعر ضحية الصراع القائم بين الجماعات المسلحة، وأجهزة الأمن الجزائرية حيث يثير الروائي تساؤل من يقتل من، ففي أطوار الرواية لا نعرف حقا من معه حق، ومن هو الظالم فالأمن يتنكر بشكل الجماعات السلفية، وينفذ أحكام القتل نيابة عنهم، وهذا ما يحصل للشاعر فينفذ فيه حكم الإعدام لاشتباهه في دعم الجماعات الجهادية من قبل أجهزة الأمن المتنكرة، وهذه الرواية تظهر طبيعة الحرب القائمة في فترة العشرية السوداء من صراعات ملؤها الظلم والقتل والمعاناة والحيرة التي تلم بكل من يكون بين رحى الحرب المريرة.

❖ **حرب القبور لمحمد ساري**: رواية يسرد فيها وقائع العشرية السوداء، وتتناول الرواية قصة عدد من الشخصيات الرئيسية، من مختلف الخلفيات، والتي يسرد الروائي على لسانها أحداث الحرب، كل حسب وجهة نظره ومكانه في جهة القتال؛ فيسرد الوقائع على لسان أحد الجهاديين، وعلى لسان ضابط في الجيش، وعلى لسان مواطن من المدنيين، وبالتالي نرى عبر أطوار القصة القضية الكبرى، وهي الحرب من وجهات نظر متباينة تكسب القارئ نوعا ما نظرة موضوعية عن تلك الفترة الزمنية.

وقد اخترنا رواية حرب القبور كنموذج يتناول متخيل الحرب في الرواية الجزائرية التسعينية، وقد فضلنا دراستها وفق المنهج البنيوي ممثلا بطريقة تيزفتان تودوروف، التي قسم فيها النص إلى قسمين كبيرين هما، السرد من حيث هو قصة والسرد من حيث هو خطاب، وقد فضلنا تطبيق وصفته التقنية حتى نتمكن من مدى تلمس وتحكم الروائي في الكتابة الروائية ومدى إتقانه لصنعتها، وقد حاولنا تجاوز طريقته وذلك بتتبع أبعاد خطاب الحرب في روايته ودلالته، وذلك حتى تكتمل الدراسة فتجمع بين الشكل والمضمون.

ملخص الرواية:

تدور أحداث رواية " حرب القبور " في القرى والمداشر المحاذية للجبال في الشّرق الجزائري، كتبها **محمد ساري** في 313 صفحة قسمها إلى فصول؛ وكلّ فصل تحدّث فيه عن إحدى الشّخصيات الرئيسيّة في الرّواية، واستهلّ حديثه بالدّرب الفاتح؛ فكان عبارة عن ملخص لما جرى بين الجماعات الإرهابيّة من شجار نجم عنه أسر كريم بن محمد إحدى الشّخصيات الّتي كانت معارضة لهم، وفيه أيضا التعريف بأهمّ الشّخصيات الّتي كان لها دور في بناء الرّواية. وختمها بالدرب الغالق؛ وتحدّث فيه عن مصير تلك الجماعات وكيف تمّ القبض عليهم من قبل العسكريين، وكذا رجال قرية أولاد رحمون.

و تروي الرواية معاناة الشّباب الجزائري المغرر به من قبل بعض الأفراد، والّذين تسممّت أفكارهم بالخطب الدّاعيّة لقيام الدّولة الإسلاميّة، وحثّهم على محاربة سلطة الطّاغوت كما يسمونها- الجهاز العسكري للدّولة- فهم يحملون غلّا في قلوبهم اتّجاههم لأنّ في رأيهم هم سبب ضياع أحلامهم، فراح هذا الشّباب يبحث عن متنفس له بعيدا هن السّلطة الرّافضة والمحطّمة لمعنوياته والهروب من أعين النّاس، وكذا من ظروف الحياة الصّعبة الّتي يعيشونها، فكانت الجماعات الإرهابيّة الحاضن لهم فهاجروا إلى الجبال وتعلموا فنون القتال بالسّلاح والخناجر على يد الميلود الحملاوي – رقيب سابق في الجيش الوطني- وكذا على يد بعض الرّجال العائدين من الحركة الجهادية في أفغانستان. لكن عند صعودهم الجبال اكتشفوا الواقع المرير الّذي كانت عليه تلك الجماعات؛ فقد كانوا يقومون بأفعال تنافي الأخلاق من قتل، وترهيب، وسبي للنّساء وممارسة الرّذيلة معهن باسم الدّين، وقد كانوا مرغمين على الاستمرار معهم رغم كلّ الظّروف، وإلّا سيكون الموت مصيرهم. فقد وقع الشّباب في حيرة من أمره ووقع بين خيارين أحلاهما مرّ علقم: إحداهما البقاء مع تلك الجماعات وموت أحلامهم والوقوع في الفاحشة، والثّانيّة العودة إلى الدّيار وممارسة حياتهم الطّبيعيّة، لكن هذا يستحيل لأنّ السلطة لا يمكنها أن تثق فيهم بعد أن خانوا وطنهم وباعوا أهلهم وإخوانهم، فحتما ستقوم باعتقالهم وممارسة شتى أنواع التّعذيب

عليهم؛ فهم في كلا الحالتين موتى. فجسّدت لنا الرّواية الشّخوص بأنّهم عبارة عن قبور تتحرك وتتصارع فيما بينها بغية الوصول إلى الهدف المنشود؛ ألا وهو قيام الدّولة الإسلاميّة.

فقد وقعوا في المحظور وهتكوا المستور خاصة فيما تعلّق بممارسة اللواط بين الجماعات في الجبال، وممارسة نّكاح الجهاد مع النّساء المسبيات من القرى الّتي يتمّ الهجوم عليها، فقد أجاز لهم مفتيهم هذا الفعل واستشهد بجواز ذلك من القرآن والسّنة. فبعد التّقتيل التّرهيب الممارس على المستضعفين في القرى المجاورة، تمّ تكوين جماعات مسلحة من قدماء المجاهدين ومن متقاعدي الجيش، وبمساعدة رجال القرية، والدّرك الوطني تمّ القضاء على تلك الجماعات، وفرّ بعضهم لتبقى نهاية الرّواية مفتوحة لأنّ الشّعب الجزائري ما زال يعاني من ويلات الإرهاب ليومنا هذا.

وفي هذه الرّواية تمّ الإشارة أيضا إلى أهم الشّخصيات البارزة في تلك الفترة الّتي كان لها دور في انفراج تلك الأزمة، وتمّ الحديث عن المشروع الّتي قدمته والمتمثل في الوئام المدني والّذي ينصّ عن العفو عن كلّ من سلّم نفسه منهم، وتاب عن أفعاله، فقد صوّرت العنف الممارس في المناطق الجبليّة الّتي كانت عارضة لكلّ الاعتداءات بحكم أنها قريبة منه، فبالتّالي كانت في وجه المدفع لتلك الهجومات، كما أفصحت عن مدى خطورة الوضع آنذاك وحاولت رصد الواقع اليومي للطبقة الفقيرة للمجتمع الجزائري.

خلاصة الفصل:

وفي ختام هذا الفصل وجدنا أن الأدب فن نبيل نجح في أن يكون ملجأ لملايين الكتاب الذين لم يجدوا دونه متنفسا لأحزانهم وصوتا لقلوبهم، عبر العصور أبدع الملايين من الكتاب من مختلف البلدان والثقافات في تصوير شكل الحرب الأسود والمأساوي، والذي يجعل كل من يعاني سطوته ويذوق مرارته يشعر بمسؤولية رفض الحرب بأي وسيلة

كانت، فكان من أبرز هذه الوسائل، الأدب، ولا يزال إلى الآن ملاذا لكل مبدع قرر إيصال صوت رفض الحرب إلى الناس والعالم أجمع.

الفصل الثاني:

السرد من حيث هو قصة ومن حيث هو خطاب في رواية "حرب القبور لمحمد ساري"

- السرد من حيث هو قصة في رواية حرب القبور لمحمد ساري
  1. ترتيب احداث الرواية
  2. الشخصيات وعلاقاتها
- السرد من حيث هو خطاب في رواية حرب القبور لمحمد ساري
  1. زمن السرد
  2. مظاهر السرد
  3. أنماط السرد
  4. خرق النظام

تمهيد:

يقوم الناقد الفرنسي «تيزفيتان تودوروف» في منهجية تحليله بالتركيز على التمييز بين القصة والخطاب في العمل الأدبي؛ بحيث يقوم بعزل المظهرين عن بعضهما البعض، ويعالج كل منهما بشكل مستقل. ففي المظهر الأول، يركز على منطق الأفعال والشخصيات وعلاقاتها. أما في المظهر الثاني، فيتناول زمن السرد ومظاهره وأنماطه. و(**يقر الناقد بصعوبة التمييز بين القصة والخطاب لأن فهم وحدة العمل الأدبي تتوقف على ضرورة التمييز بينهما. لذلك عزل المظهرين عن بعضهما البعض. فنظر إلى السرد مرة من حيث هو قصة. ونظر إليه مرة أخرى من حيث هو خطاب. وعالج في المظهر الاول: منطق الأفعال والشخصيات وعلاقاتها. أما في المظهر الثاني فقد توقف عند: زمن السرد ومظاهره وأنماطه.**[1])

يحاول «تودوروف» في السرد بوصفه قصة، تحديد القصة بدقة، ويستعرض زمانيتها ومواضعتها وتجريدها. ينفي وجود ترتيب زمني مثالي للقصة لوجود أكثر من ناقل للقصة، وفي هذا المعنى يقول :(**لا ينبغي الاعتقاد بأن القصة تعني ترتيباً زمنيا مثالياً، فيكفي أن يوجد أكثر من شخص واحد حتى يصبح هذا الترتيب المثالي أبعد ما يكون عن القصة الطبيعية.**[2]) وإذا حدث أن حاولنا ترتيب أحداثها فإنه لا بد (**أن نقفز عند كل جملة من شخص إلى آخر لنقول ما كان يفعله هذا الشخص الثاني**[3])، وهذا الأمر صعب وشاق، ويشير إلى تعدد خيوط القصة التي عادةً ما تلتقي في لحظة ما. وبالنسبة للمواضعة، يعتبر العرض التداولي لما وقع هو جوهر القصة، ولا يهتم بترتيب أحداثها زمنيًا. وبالنسبة للتجريد، فإنه يدرك ويحكي القصة من طرف أحداثها زمنيًا، ولا توجد في ذاتها.

[1] وردة معلم، محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2021، ص.63.

[2] طرائق تحليل السرد الادبي، تزيفتان تودوروف، مقولات السرد الادبي. الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 1992، ص.42.

[3] المصدر نفسه.

ويصف «تودوروف» مستويين للقصة هما: منطق الأفعال وتوازي الأحداث. ويشمل منطق الأفعال التكرار، والتدرج والتوازي. ويتعلق **التكرار** بتكرار الفعل الروائي أو الشخصيات أو تفاصيل الوصف، ويمكن أن يكون له أشكال مختلفة مثل الطباق والتدرج. ويتعلق **الطباق** بالتقابل الذي يفترض وجود جزأين متشابهين في كل طرف من الطباق، سواء كانت الرسائل متبادلة بين عدة شخصيات أو صادرة من شخصية واحدة. وأما **التدرج** فيتعلق بإدخال تفاصيل جديدة على حدث مكرر لكسر الرتابة. ويتعلق **التوازي** بتواجد خيوط متعددة في القصة تجري في نفس الزمن أو تقترب منه، وتتعامل مع أحداث وشخصيات مختلفة. ويمكن أن يتم تحقيق التوازي من خلال التداخل والتشابك والتناغم بين هذه الخيوط المتعددة. وهي نوعان:

1- توازي خيوط العقدة: ويخص هذا النوع الوحدات الكبرى للسرد «مثل تعرض شخصيتين لتجارب متشابهة»

2-توازي الصيغ التعبيرية: يخص التشابه في هذا النوع الصيغ التعبيرية كأن نصف شخصيتين رئيسيتين وصفا نفسيا متشابها.

وينتقد «تودوروف» الشعرية الكلاسيكية لتعاملها غير الشامل مع القصة، ويلاحظ أنها تغوص في العموميات، وتهتم بالعلاقة الشكلية بين الأفعال دون مراعاة طبيعتها. وبالمقابل، يشير إلى جهود باحثين آخرين مثل «كلود بريمون» و«كلود ليفي ستراوس» الذين درسوا منطق الأفعال في الحكايات الشعبية والأساطير من منظور البنيوية. ويشير إلى أن هناك توافقًا في نوعية الدراسات التي قام بها الباحثان؛ حيث وصف «كلود بريموند» نموذجه بالثلاثي الذي يعتمد على تسلسل سردي صغير أو تداخله، وتتكون هذه السرود الصغيرة من ثلاثة أو أحيانًا اثنين من العناصر (وجودهما ضروري)، وتتكون جميع قصص العالم وفقًا لهذا المفهوم من تكوينات مختلفة لحوالي عشرة سرود صغيرة ثابتة، والتي قد تشمل بعض المواقف الجوهرية في الحياة مثل الخداع والتعاقد والحماية.

وقدم «تودوروف» مثالا تطبيقيا عن هذا النموذج استقاه من رواية العلاقات الخطرة. أما بالنسبة إلى «كلود ليفي ستراوس» فقد سمى نموذجه بالتناظري الذي وصفه بالمنطقية، ويقوم على أساس أن السرد يمثل الإسقاط التركيبي لشبكة من العلاقات الاستبدالية. فنكتشف إذن داخل مجموع السرد تبعية بين بعض العناصر فنسعى أن نجدها ثانية داخل التتالي وهذه التبعية هي في معظم الأحوال تناظر أي علاقة تناسبية من أربعة حدود(A/B=a/b). ويمكن أن نسلك حسب الترتيب المعاكس؛ أي أن نحاول ترتيب الأحداث الروائية المتعاقبة بكيفيات مختلفة؛ حتى نكتشف بنية العالم المعروض انطلاقا من العلاقات التي يتم قيامها.

انتهى «تودوروف» بعد عرض النموذجين إلى خلاصة مفادها أن الناقدين أهملا الشخصية إهمالا واضحا؛ فهما يكتفيان بوصف أفعالها فقط. وأرجع هذا الأمر إلى بساطة السرد الذي طبق عليه الدارسان نموذجيهما.[1]

أولا: السرد من حيث هو قصة في رواية حرب القبور:

وبناء على ما سبق قمنا في بحثنا هذا بتطبيق منهجية «تودوروف» في جزئها الأول المتعلق بالسرد بوصفه قصة على رواية حرب القبور لمحمد ساري. وقد اكتفينا فيها بترتيب أحداث الرواية ودراسة الشخصيات من ناحية علاقتها ببعضها البعض.

1-ترتيب أحداث الرواية:

[1] وردة معلم، محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2021، ص.81

كريم / جهادي	سمير / ضابط في الجيش	الحاج الطاهر/ مواطن ومجاهد سابق
1-خروج كريم مع جماعته لطلب المال من أحد المواطنين. مواطن يرى أن المبلغ المطلوب كبير فيقاوم بالسلاح. كريم ورفاقه يهربون ويرون أن المكان صار خطيرا عليهم لأن الشعب صار ضدهم. يقررون الانضمام إلى جماعة كبيرة في مكان آخر. 2- وصول جماعة كريم الصغيرة إلى مقر الجماعة الكبيرة (الخلاص الأول). الاندماج مع الجماعة الجديدة وبدء العمليات. تعرض عبد اللطيف صديق البطل للاعتداء من قبل بوشاقور أثناء غياب كريم. كريم يعرف بالأمر ويحاول دفع الجماعة لمحاكمة بوشاقور. 3- الجماعة تؤجل الفصل في الأمر وبوشاقور يواصل المشاركة في العمليات.	يخرج من الثكنة متجها إلى منزله متنكرا في زي عامل بناء. يتعرض في الطريق لحاجز أمني مزيف يقيمه الإرهابيون. يتعرف عليه أحد الإرهابيين ويلقي عليه التحية لأنه كان مجندا عنده في السابق (الإرهابي هو كريم) يمر الموقف بسلام وينجو سمير من الحاجز المزيف. عند عودته إلى الثكنة يجد أن هجوما من خائن في الجيش ورفيقيه قد حل بالثكنة نجم عنه قتل سبع جنود (القاتل هو بوشاقور).	خروج الحاج الطاهر للصيد في الجبل وتقاطع طريقه مع طريق الإرهابيين. يسأله الإرهابيون عن مكان قريته ولجهله بهويتهم يخبرهم. ظهور الجماعة في القرية وأخذ أسلحة من أهل القرية. تعرض ابنه للقتل من قبل جماعة إرهابية في حاجز مزيف (نفس الحاجز الذي كان فيه سمير) عقد العزم على الانتقام لابنه من الجماعة الإرهابية.

كريم يذهب إلى عملية إرهابية لقتل العمال الأجانب وبوشاقور يهدده بالقتل إن لم يقتل العمال. البطل يذبح العامل الأجنبي رغما عنه. العودة إلى المقر وانتظار الفصل في قضية عبد اللطيف وبوشاقور. 4-الجماعة تفصل في القضية وتقرر تصفية عبد اللطيف. كريم يقرر الانتقام من بوشاقور ومن قتل عبد اللطيف. الجماعة المسلحة تهجم على قرية بني رحمون وتسبي بعض نسائهم. في المرة الثانية القرية تقاتلهم وكريم يستغل المعركة لتصفية بوشاقور. 5-حدوث انشقاق في الجماعة بسبب قضية سبي النساء. تصفية أبو كلاش للقيادة والاستئثار بالسلطة. سجن كريم حتى يفصل في قضيته.	بدء التدريبات والتجهيزات للهجوم على مخابئ الإرهابيين. وضع عبء القضاء على الجماعة الإرهابية على عاتق كريم وثكنته من قبل رجال الدولة من أصحاب الكروش والأوامر الفوقية. التعاون مع أهل قرية بن رحمون لتمشيط الجبل أين يختبئ الإرهابيون. العثور على مخبأ الإرهابيين بعد هروب إحدى أسيراتهم وإخبارهم بالمكان. الهجوم على المخبأ ودفع الإرهابيين للهرب والتفرق في الغابة. إنقاذ المخطوفين.	تعرض القرية للهجوم مما أسفر عن قتل وأسر بنات من القرية. حمل السلاح وتنظيم وتسليح أهل القرية للمقاومة عند الهجوم التالي. التعاون مع الجيش للبحث والقضاء على الإرهابيين. الهجوم التالي للإرهابيين واجه الحاج الطاهر وأهل القرية العدوان بقوة وشجاعة ما نجم عنه قتل بعض الإرهابيين وهروب البقية. وفي المرة الثالثة قدم الإرهابيون متسللين بحثا عن الطعام بعد أن طاردهم الجيش في الجبال فقام الحاج الطاهر وأهل القرية

السماح لكريم بالعيش وانضمامه للجماعة الجديدة. هجوم الجيش على الجماعة المسلحة ودفعهم إلى الهرب داخل أغوار الجبل. 6-النجاح في الهروب من الجيش. الضياع في الجبل لمدة من الزمن. الذهاب إلى القرية طلبا للغذاء. التعرض لكمين أهل القرية والعسكر وإلقاء القبض على كريم.	مساعدة أهل القرية على القبض على الإرهابيين بعد أن هاجموهم والقبض على الإرهابي كريم.	بعمل كمين محكم للقبض عليهم مما أدى إلى نصر كبير وقبض بسببه على الإرهابي (كريم).

تتضمن الرواية ثلاث مسارات رئيسية، يتم فيها إتباع قصص كل من الشخصيات الرئيسية الثلاث حسب الترتيب الموضح أعلاه، وقد اعتمد الروائي في روايته على أسلوب الرواية متعددة الأصوات أو الرواية البوليفونية (بالإسبانية: Novela polifónica)، وهي سمة من سمات السرد القصصي ونوع أدبي للرواية الحديثة، يفسر الواقع من عدة وجهات نظر متراكبة في آن واحد، ولا تعتمد فحسب على وجهة نظر وحيدة. ويتميز هذا النوع من الأدب بالتنوع والتعددية في تقديم الأحداث والشخصيات، مما يعزز من عمق وواقعية الرواية ويجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش الأحداث بشكل أكبر. وتستخدم هذه التقنية الأدبية في العديد من الروايات، ونلاحظ أن الروائي استغل هذا الأسلوب ليقدم للقارئ قضية حساسة كالعشرية السوداء في الجزائر من وجهات نظر كل الأطراف التي شاركت في تشكيل تلك القضية المعقدة وهي ثلاث زوايا أساسية: زاوية نظر **الإسلامي** الذي حمل السلاح ضد الحكومة وقرر الصعود إلى الجبل والمتمثلة في شخصية «كريم بن محمد». وزاوية نظر **العسكري** الذي وقع على عاتقه حمل مواجهة الإجرام الحاصل من قبل

الجماعات الإرهابية والذي يمثله شخصية الضابط «سمير». وأخيرا **المواطن البسيط** الذي كان محله بين المطرقة والسندان ويمثله شخصية «الحاج الطاهر».

وتشكل الأحداث المرتبة أعلاه الأفعال التي صاغت مسار الرواية، والتي قدمت وفق نسق منسجم بين أصوات الرواية المتعددة، حيث يتم تقديم الأحداث بطريقة متسلسلة ومنطقية ومتماسكة، وتتداخل الأحداث بشكل يدعم الموضوع الرئيسي للرواية وهو قضية (العشرية السوداء) التي تعتبر قضية شائكة، فنرى مدى الاختلاف الحاصل في الآراء بين مسارات أحداث الشخصيات الثلاث والتي قد تتوافق في نقاط محددة، ونذكر من أوجه التشابه الظاهرة في الرواية أن الأبطال الثلاثة في القصة والمبينين في الأعمدة أعلاه يسعون إلى كف الظلم عن المجتمع الجزائري، فالجهادي «كريم» يرغب في الإطاحة بالدولة الظالمة والمستبدة التي تأكل حق الشعب بفسادها وجبروتها لهذا يطلق عليها لقب الطاغوت، والعسكري «سمير» يسعى إلى كف ظلم الجماعة المسلحة المسلطة على العمال بسلك الأمن وأهل القرى العزل الذين ذاقوا الأمرين من بطش تلك الجماعات المتوحشة، أما «الحاج الطاهر» المواطن العادي والمجاهد السابق فقد قرر أن لا يكون متفرجا في هذه الحرب، بل أن يكون عنصرا فاعلا فيها، وقرر كف ظلم الجماعة الإرهابية التي كانت تغير على قريته ولاد رحمون وتقتل وتسبي نسائها. وما نلاحظه في الرواية من الترتيب المبين في الجدول أن شخصية «كريم» أقرب إلى شخصية «سمير» و«الحاج الطاهر» من قربه لجماعته المسلحة الجهادية، إذ نلاحظ أن أفعال الجماعة الجهادية لا تتفق وقيم الإسلام والإنسانية التي يؤمن بها، ومن الأحداث نذكر ما حصل عندما قرر الجهاديون قتل العمال الأجانب الأبرياء وهذا ظلم لم يقبله «كريم» لكن أجبر عليه وأيضا سبي نساء القرى من أجل ما يسمونه "بجهاد النكاح" والذي استنكره أيما استنكار والحدث الأعظم في مسار قصة «كريم» هو قتل صديقه عبد اللطيف البريء.

من هذه الأحداث كلها نرى من وجهة نظر شخصية «كريم» أنه يمثل كل الناس الذين صعدوا إلى الجبال بنية حسنة وصدموا بواقع مرير بعيد كل البعد عن المثالية التي كانوا يحلمون بها، فليس كل من صعد هناك معهم يحمل نفس أهدافهم، ومع الأسف هم يملكون القوة والكلمة الأخيرة في الجماعة عكس من هم على شاكلة «كريم».

أما وجهة نظر الضابط «سمير» من الأعمدة الموضحة أعلاه، فهو يمثل شخصية الضحايا الذين يعانون من بطش الجماعات الإرهابية التي تترصد قتل كل من يعمل في سلك الأمن، وأنه كان ولأكثر من مرة قاب قوسين أو أدنى من الوقوع ضحية قتل لتلك الجماعات، وذلك في مرتين مختلفتين، الأولى حين وقع ضحية حاجز مزيف نجا منه بأعجوبة رغم تعرف أحد الإرهابيين عليه كضابط في الجيش والثانية عندما كان غائبا وقت وقوع مجزرة في ثكنته، وبهذا فشخصية «كريم» عايشت رعب الجماعات الإرهابية الذي يقع على عاتق الجيش التصدي لهم ووضع حد لبطشهم وهذا أمر صعب ومسؤولية كبيرة تم إلقائها على عاتقهم من قبل المسؤولين، كما ذكر في الرواية (**على الورق... كل شيء سهل وبسيط. انتصرنا على الإرهاب واقتلعنا جذوره من أعماقها! ليس كذلك أبدا على أرض الواقع. تتغير المعطيات وتتفتت جميع السيناريوهات. يتصور هؤلاء الضباط المحظوظون، أصحاب المكاتب الفاخرة داخل حصونهم المحروسة، أن المواجهة المسلحة مع هذه الجماعات ما هي إلا لعبة إلكترونية، يكفي الضغط على بضعة أزرار للقضاء عليها.**)[1]

وهنا يظهر وجه التشابه بين «كريم» و«سمير»، فكلتا الشخصيتين تقع مجبرة تحت طائل الأوامر الفوقية التي تصعب من حياتهما وتضعهما في مواقف عسيرة ومريرة لا يد لهما في رفعها وليس لهما سوى السمع والطاعة مرغمين،

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص246

فمما يبينه الروائي في قصته هو أن صراع القوى يذهب ضحيته ويتحمل تبعاتها الأغلبية الضعيفة التي لا كلمة لها بعد كلمة رؤسائها.

وتوضح لنا الأحداث التي تمر بها شخصية «سمير» عمل الجيش الصعب في تفتيش الجبال الوعرة والبحث عن الإرهابيين المتمركزين في كهوفها ووديانها (**إن هؤلاء الإرهابيين، على قلّة عددهم وبساطة أسلحتهم، مثل العظم في الحلق، لا يقتلك ولا يتركك تسريح. ينتهجون خطة حرب العصابات القائمة على الكر والفر في إقليم يتحكمون في تضاريسه. جماعات صغيرة لا يتجاوز عدد أفراد كل واحدة منها أصابع اليد الواحدة، ينامون في النهار ويغارون في الليل كالخفافيش.**)[1]

لكن الروائي يوضح كذلك من خلال أحداث شخصية «سمير» جانبا آخر يتمثل في تعاون الشعب مع الجيش من خلال شخصية «الحاج الطاهر» الذي يمثل موقف المواطن العادي من الجماعات الجهادية المنتشرة في الجبال فيبرز لنا زاوية نظر ثالثة في القضية وهي نظرة المواطن البسيط الذي يقف في المنتصف بين الجماعة الجهادية والدولة الجزائرية.

ويتضح من خلال مسار قصة «الحاج الطاهر» رؤية من على حق ومن على باطل ففي البداية يكون دور المواطن العادي محايدا بين الجيش والجماعة الجهادية ولا يقف في صف أحد لاعتقاده ببعده عن رحى الصراع، وأنه ليس طرفا فيه بل متفرج لا أكثر، ويظهر ذلك في تجاهل أهل قرية بن رحمون التي يقطن فيها «الحاج الطاهر» لمرور الجهاديين بها وأخذ مستلزماتهم من دكاكينها والجلوس بمقاهيها دون أن يكون لهم أي تصرف سلبي تجاههم كالتبليغ عنهم للجيش وغير ذلك لكنهم لم يستسيغوا كذلك ما سمعوه من جرائم تحدث في أماكن بعيدة على يد حلفاء هاته الجماعات التي تزور قريتهم.

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص.246

والروائي يوضح من زاوية نظر شخصية «الحاج الطاهر» الموقف السلبي للمواطنين من الأحداث التي مرت بالبلاد في العشرية السوداء، لكن يتغير الأمر كله حين تصل براثن الإرهاب إلى بيوت أهل قرية بني رحمون بداية بقتل ابن «الحاج الطاهر» في حاجز مزيف بعيدا عن بني رحمون، ثم الهجوم المباشر على القرية من قبل الجماعة الإرهابية وقتل بعض سكانها وخطف بناتهم، في هذه الحالة لم يعد المواطن العادي قادرا على الوقوف موقف المتفرج مما يحدث، خاصة بعدما صار رغما عنه طرفا في الحرب، ولهذا تسلح المواطن العادي وقرر الدفاع عن نفسه وذلك بالتعاون مع الجيش الذي قام بتسليحهم ودعمهم وهنا نرى تعاون «الحاج الطاهر» وأهل قريته مع «سمير» والجيش الذي يمثله.

يلاحظ أن الروائي «محمد ساري» يتقن استخدام أسلوب تعدد الأصوات بشكل ممتاز في روايته حول (العشرية السوداء). يقسم القضية على ثلاث وجهات نظر رئيسية تمثل الجهادي والعسكري والمدني، وينجح في إبراز وجهات النظر المختلفة بشكل موضوعي ودون تحيز، ويستخدم الروائي هذا الأسلوب بمهارة في ربط أحداث الشخصيات الرئيسية ببعضها البعض في نقاط محددة مع تفادي تكرار الأحداث بشكل مزعج، على سبيل المثال، يكتب الحدث من وجهة نظر الشخصية الأولى ويذكر تأثيره على الشخصية الثانية في فصل آخر، مما يجنبه تكرار نفس الحدث في فصلين مختلفين، ويعمل هذا الأسلوب على جعل القراء يشعرون بتجربة الحدث من منظور متعدد، مما يضيف عمقًا إلى الرواية ويجعلها أكثر قوة وجاذبية.

2-الشخصيات وعلاقاتها:

دراسة الشخصية الروائية بوصفها موضوعا من قبل مدارس النقد القديمة، وما زالت محل اهتمام في الوقت الحالي. ومع ذلك، فقد تغيرت النظرة إليها في الأدب الحديث، وتركزت أكثر على دورها في تحريك الحبكة الروائية والتأثير على العالم المحيط بها. وقد تغيرت الطريقة التي تتم بها دراسة الشخصية الروائية، حيث أصبحت أكثر شمولية وترتكز على

جوانب مختلفة مثل الخلفية الاجتماعية والنفسية والثقافية للشخصية. وبالتالي، فإن دراسة الشخصية الروائية تشكل جانبًا هامًا من دراسة الأدب والنقد الأدبي. ونذكر هنا أهم ما ذكره النقاد حول الشخصية الروائية:

أ- الشخصية عند (Roland Barthes) رولان بارت:

يعرف «رولان بارت» الشخصية بأنها نتاج تركيبي يمكن أن يتكون من مجموعة من السيمات التي تتكرر فتكون تركيبية قادرة أو تركيبية معقدة عندما تضم علامات متناسقة متنافرة، وهذا التعقيد، أو هذا التعدد هو ما يحدد شخصية الشخصية.

عدها مكوناً يسهم في تكوين بنية النص الروائي، إن التحليل البنيوي وهو يحرص على ألا يحدد الشخصية باعتبارها جوهرا سيكولوجيا قد عمل عبر فرضيات متباينة على تحديد الشخصية ليس باعتبارها كائنا وإنما بوصفها مشاركا رافضا، عدها كائنا ذا جوهر نفسي قائم بذاته.

يتناول «رولان بارت» الشخصية من خلال ثلاثة مستويات هي: مستوى الأفعال، مستوى العوامل، ومستوى السرد، فهو يميز في مجال التواصل السردي بين ثلاثة تصورات، يرى في الأول أن السرد ينبع من شخص له اسم وهوية، من المؤلف، ويعبر عن أنا خارجي بالنسبة للنص السردي. وفي الثاني يجعل من الراوي مستوى من مستويات الوعي الكلي أو ضميراً شاملا يروي انطلاقا من وجهة نظر متعالية، فهو في الآن نفسه داخل شخصياته وخارجها، أما في الفصل الثالث فإن الراوي يقتصر فيه على سرد ما يمكن أن نلاحظه أو تعرفه الشخصيات. على أنه يرى أن التصورات الثلاثة هذه لا يجب أن تدفعنا إلى الاعتقاد بكون الراوي والشخصيات أشخاص حقيقيين، ذلك أنهم ليسوا سوى

كائنات من ورق، ومؤلف السرد لا يمكن أن يكون راوي هذا السرد، ومن يتكلم في السرد ليس هو من يكتب في الحياة ومن يكتب ليس هو من يوجد في السرد[1].

ويتعامل «بارت» مع الشخصية وفق هذه المستويات في تحليله للنص الروائي؛ حيث يرى أن الشخصية لا تكون كائنًا نفسيًا قائمًا بذاته، بل تتكون من مجموعة عوامل وأفعال يتم تجميعها وتركيبها في النص الروائي لتشكل شخصية مفهومة ومتكاملة.

ويستخدم «بارت» هذا التحليل البنيوي لفهم العوامل التي تؤثر في تكوين الشخصية وتطورها خلال سير الأحداث في النص الروائي. وهذا يعني أنه ينظر إلى الشخصية على أنها مجموعة من العوامل والأفعال والخصائص اللغوية المترابطة في النص الروائي، وليس ككائن نفسي قائم بذاته.

ب- الشخصية عند (faladimir brob) فلاديمير بروب :

لا يمكن للدراسات المهتمة بسميائية الشخصية إغفال دراسة «فلاديمير بروب» عن الشخصية الحكائية، ذلك أن «بروب» يعد أحد أهم رواد الشكلانية، ومن المنظرين الأوائل في حقل الدراسات البنيوية الدلالية، وقد قدم هذا الباحث تصوره عن الشخصية في كتابه (مورفولوجيا الحكاية الخرافية الروسية) والبارز في هذا الكتاب الذي يعتبر الفتح المبين للدراسات البنيوية الدلالية هو اهتمام «بروب» بالجانب المورفولوجي للشخصية الحكائية مع تعظيم أفعالها ومختلف الوظائف الصادرة عنها[2].

[1] إيمان غريب، الشخصية في رواية "مقامات الذاكرة المنسية " لـ –حبيب مونسي.، مذكرة مكمله للنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: أدب عربي حديث، تحت إشراف: الأستاذة دلال فاضل، جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي– كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، أم البواقي، الجزائر، 2014، ص23–24.

[2] معلم وردة، الشخصية في السميائيات السردية، الملتقى الوطني الرابع "السمياء والنص الأدبي" جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص312.

وقلل «فلاديمير بروب» في كتابه (مورفولوجيا الحكاية) من أهمية الشخصية وأوصافها ورأى أن الأساس هو الدور الذي تقوم به (**إن ما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات أما من فعل هذا الشيء أو ذلك وكيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابعاً لا غير**)فهو اعتد بالوظيفة وحدة لتحليل بنية الحكاية الخرافية فهي (**عمل الشخصية منظورا إليه من حيث دلالته في مسار الحبكة**). لذا لم يهتم «بروب» بصفات الشخصيات ولا خصائصها الذاتية، بل بالأدوار التي تقوم بها باعتبارها عناصر ثابتة غير متغيرة وهذا هو هدف دراسته[1].

ج-الشخصية عند (Algirdas Julien Greimas) ألجريداس جوليان غريماس

برز باحث آخر بعد نموذج (بروب) قام باستثمار جهود سابقيه وهو «ألجريداس جوليان غريماس» وقد كان للجهاز الوظائفي البروبي كما يقول «أ.ج غريماس » في مقاله "السيميائيات السردية" بالغ الأثر على البحوث اللاحقة؛ إذ ظهرت دراسات متخصصة، عمدت إلى الكشف عن المبادئ المنظّمة للخطابات السردية.

واستنادا إلى هذين الإرثين المنهجيين السابقين، بنى غريماس نموذجه العاملي، الذي يقوم على ستة عوامل تنتظم وفق ثلاثة أصناف، يضم الأول عامل ذات أو فاعلا مقابل موضوع (Sujet vs Objet) والثاني مخبرا أو مرسلا مقابل مرسل اليه (Destinateur vs Destinataire) والثالث مساعدا مقابل معارض (Adjuvant vs Opposant)

[1] إيمان غريب، الشخصية في رواية "مقامات الذاكرة المنسية " لـ -حبيب مونسي.، مذكرة مكمله للنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: أدب عربي حديث، تحت إشراف: الأستاذة دلال فاضل، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي- كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، أم البواقي، الجزائر، 2014، ص27.

على أن هذه العوامل لا تأتلف إلا من خلال ثلاث علاقات هي: علاقة الرغبة التي تجمع بين من يرغب (الذات) وما هو مرغوب فيه (الموضوع)، وعلاقة التواصل التي تجمع بين موجه للذات (المرسل) وموجه إليه (المرسل إليه)، وعلاقة الصراع التي ينتج عنها إما تحقيق العلاقتين السابقتين أو منع حصولهما، ويدخل ضمنهما عاملان يدعى أحدهما (المساعد) والآخر (المعارض)، يقف الأول إلى جانب الذات، بينما يعمل الثاني على عرقلتها[1].

د- الشخصية عند (Philippe Hamon) فيليب هامون:

تعزى الدراسة الجيدة للشخصية الروائية إلى «فيليب هامون»، الذي ترتكز مقترحاته كثيرا على المفهوم اللساني، ولعل ذلك شيئا طبيعيا عند النقاد الحداثيين الذين نهلوا من روافد اللسانيات الحديثة.

ويعد «حسن بحراوي» أن أغنى التيبولوجيات الشكلية تعود إلى «فيليب هامون» في دراسته المتميزة حول القانون السيميولوجي للشخصية؛ باعتبارها قائمة على أساس نظرية واضحة تصفي حسابها مع التراث السابق، ولا تتوسل بالنموذجين النفسي والدرامي وغيرهما من النماذج المهيمنة في التيبولوجيات السائدة.

وحاول «هامون» أن يستفيد من دراسات سابقيه، واعتبر مفهوم الشخصية مرتبطا أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص، وقد صنف الشخصيات إلى ثلاث فئات هي: الشخصيات الإشارية، والشخصيات الاستذكارية، والشخصيات المرجعية، التي تضم الشخصيات التاريخية، والأسطورية، والمجازية والاجتماعية[2].

هـ-الشخصية عند (Tazvitan Todorov) تزفتيان تودوروف:

[1] زوزو نصيرة، سمياء الشخصية في رواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد التاسع. جامعة محمد خيضر بسكرة، مارس 2006، ص3.

[2] زوزو نصيرة، سمياء الشخصية في رواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد التاسع. جامعة محمد خيضر بسكرة،2006، ص5.

لعبت الشخصية دورا رئيسيا في الأدب الغربي الكلاسيكي، وانطلاقا منها تنتظم عناصر الحكي الأخرى، ولكن «تودوروف» استدرك أن بعض الاتجاهات الحديثة منحتها دورا ثانويا موضحا أن دراستها تطرح مسائل عدة لم يعد لها حل وفي معرض دراسته لرواية "علاقات خطرة" اقتصر في دراسة لهذه البنية على علاقات شخصية وقد حصرها في ثلاث قواعد أطلق عليها اسم محمولات تحدد العلاقات القاعدية.

ويرى تودوروف أن الشخصية لها دور كبير في الرواية، فيقول في هذا المعنى:

(إن الشخصية تشغل في الرواية بوصفها حكاية دوراً حاسماً وأساسيا بحكم أنها المكون الذي تنتظم انطلاقاً منه مختلف عناصر الرواية.)[1]

ولم يقدم تودوروف تصنيفًا لأنماط الشخصيات، بل قام بدراسة علاقات الشخصيات بعضها البعض. وقد وضع قواعد لدراسة هذه العلاقات. يمكن تطبيق هذه القواعد على رواية حرب القبور على النحو التالي:

❖ **المحمولات الأساسية:**

قد تبدو تلك العلاقات للوهلة الأولى مفرطة في التنوع بسب عدد الشخصيات الكبير، غير أننا سرعان ما نلاحظ أنه من السهل أن نختزلها إلى ثلاث علاقات فقط: الرغبة، التواصل والمشاركة.

ولنبدأ بالرغبة التي تتأكد عند جميع الشخصيات تقريباً، "الرغبة"، ونجدها في شكلها التالي:

❖ **محور الرغبة:**

أخذ شكل "القتال"

[1] إيمان غريب، الشخصية في رواية "مقامات الذاكرة المنسية " لـ –حبيب مونسي.، مذكرة مكمله للنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: أدب عربي حديث، تحت إشراف: الأستاذة دلال فاضل، جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي– كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، أم البواقي، الجزائر، 2014، ص21.

نجد الرغبة في القتال عند شخصية «كريم» ورفاقه الذين يمثلون الجماعات الإرهابية أو الجهادية كما يسمون أنفسهم الذي يقاتلون العسكر والدولة الجزائرية، ويقتالون أهل القرى من أمثال قرية ولاد رحمون ونجد أمثلة الدعوة إلى القتال والرغبة فيه من الرواية في قول شخصية «المهدي» التي تعتبر المنظر للجماعات الإرهابية والمرشد لها: (**استعدوا أيها الإخوة. إن مصير هذه الأمة الهالكة بين أيدينا. لقد سبقنا عدد لا يحصى من المجاهدين، استولوا على أقاليم واسعة وحولوها إلى مناطق محررة كقواعد خلفية تنطلق منها الكتائب الأولى التي ستسحق أعداء الله، عاجلا أم آجلا.**) **1**

ومن هذا الكلام نرى أن الرغبة في القتال مسيطرة على شخصية «كريم» بشكل كامل وذلك لأنه يرى أنه لا حل آخر لإنقاذ هذه الأمة إلا بالقتال لأجلها وتحريرها من براثن من يعيث فيها فسادا من أعداء الله كما يسميهم وهم (السلطة الحاكمة في الجزائر) لهذا فالرغبة في القتال مدعمة بدوافع قوية دينية وقومية تجعل الشخصية مصرة على هذه الرغبة وعلى تطبيقها. ويذكر على لسان شخصية أخرى هي إحدى قيادي الجماعات الإرهابية «يزيد لحرش» :(**إننا نعيش وضعاً صعباً للغاية. في الأسابيع الأخيرة، اشتد الحصار حولنا. ينصب جيش الكفارة والشيوعيين الحواجز والكمائن في الطرقات ليل نهار، ولا يتوقف عن المداهمات الليلية على بيوت أنصارنا واقتيادهم إلى سجون سرية. كما اكتشفت جثث بعضهم مرمية في السواقي وهي مشوهة من فرط التعذيب. أضحت تنقلاتنا صعبة، حتى بالليل. الكارثة الكبرى أنهم سلّحوا المدنيين، عساكر سابقين، دركين متقاعدين، بطالين يبحثون عن أجرة، وحتى قدماء المجاهدين أغروهم برفع السلاح ضدنا، وشكلوا منهم فرق مقاومة ترصد تنقلاتنا خطوة بخطوة**[2].)

[1]. حرب القبور، محمد ساري، الجزائر تقرأ، الجزائر، الجزائر، سنة 2018، ص41.

[2]المصدر نفسه، ص43 .

من الشاهد أعلاه نرى أن القتال الذي يرغب به «كريم» ورفاقه موجه في طرفين الطرف الأول كما سبق وذكرنا هو النظام الحاكم وأجهزة أمنه والطرف الثاني هو المواطنون الذين اتخذوا جانب هذا النظام وبالتالي وجب قتالهم كذلك وفي الشاهد التالي سنرى كيف ترى الجماعات الجهادية المواطنين الموالين للنظام والذين حملوا السلاح لقتالهم على لسان شخصية جهادية اسمها «أبو شاقور»:

(يستحق هؤلاء المرتدين عقابًا شديدًا، سيكون درسًا لمن تسول له نفسه الوقوف في طريقنا. يجب أن نذيقهم العلقم، هم وعوائلهم، ليعرفوا أن البنادق التي وُزِّعت عليهم لا تصلح إلا لإطلاق البارود في مواسم الأعراس. هكذا سيحجم الآخرون عن تقليدهم. إذا قرر سكان الأحواش الوقوف إلى جانب الجيش، فقل السلام على جهادنا. هم وعاؤنا الأساسي بالرجال والأموال. ثم إنهم يعرفون سهل متّيجة بجميع دروبه وشعابه، كما يعرفون الكثير من أسرارنا[1])

اختارت الجماعات المتطرفة سبيل (القتال) لتحقيق أهدافها بإقامة دولة إسلامية ضد ما يسمونه بالطاغوت والتي تتمثل في الدولة التي يمثلها العسكر، واستخدموا قتال العسكر ومن يساعدهم وسيلة للوصول إلى غاياتهم. **نجد محور الرغبة في القتال عند الشخصية الرئيسة الثانية في الرواية «الحاج الطاهر»** وهو شخصية قدمها الكاتب على أنه مجاهد سابق في ثورة التحرير وهو الآن طاعن في السن تعرض ابنه للقتل من قبل المتطرفين عندما وقع في حاجز مزيف فأقسم «الحاج الطاهر» على القتال والانتقام ممن هم على شاكلة من قتلوا ابنه. وفي الشاهد الذي سنورده كلام شخصية «الحاج الطاهر» بعد أن عرف بوفاة ابنه وتفكيره بقرار القتال ضد الجماعات الإرهابية: **(إنهم يحومون حول أولاد رحمون كالذئاب المتعطشة للدماء. لا زال ذهني في صفاء كي أميز بين الأمور. أعرف بأن الذين قتلوه (ابنه)**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص44.

ليسوا بالضرورة هم الذين يزورونا من حين لآخر. ولكن قتلته يعرفون بلا شك بأن ابني لا دخل له في مأساتهم، ومع ذلك قتلوه. هم يقتلون كل عسكري مهما كانت رتبته وبعد مكانه عن العاصمة، وأنا أيضا سأخط الطريقة نفسها. كل صاحب لحية يحمل بندقية هو مسؤول عن مقتل ابني. هكذا تتضح الأمور ويمكنني الثأر لابني.)[1]

نرى في هذا الشاهد رغبة «الحاج الطاهر» في الوقوف بوجه الجماعات الإرهابية التي تأتي إلى قريته والانتقام لموت ابنه وتجنب تكرار ما حدث له في القرية، ومحور رغبته هو القتال ضد الجماعات الإرهابية.

وقد اختار «الحاج الطاهر» القتال إلى جانب الجيش وذلك بمساعدته في فتح أقفال دروب الجبال الوعرة على أجهزة الأمن والتي كانت تعطي الإرهابيين اليد العليا في أرض المعركة فكان كمنقذ لهم وكموازن للقوى بين الطرفين المتحاربين ونرى هذا من قول الضابط «سمير» الشخصية الرئيسية الثالثة في الرواية الذي يتحد مع «الحاج الطاهر» لقتال الإرهابيين فيقول في الرواية :(**لحسن حظنا أن مرشدين أكفاء ومخلصين التحقوا بنا. الحاج طاهر وشلّة من أصدقائه من فرقة الدفاع الذاتي يفتحون لنا أقفال هذه الدروب الوعرة. أسس الحاج الطاهر مع عدد من أصدقائه المجاهدين والشباب المتطوعين من عسكريين سابقين كالرقيب المسمى الجيلالي، فرقة للدفاع الذاتي لصد الهجمات الإرهابية منذ أن تعرضت قريتهم، أولاد رحمون، لاعتداء أسفر عن مقتل عدد من الرجال والنساء، وخطف ثلاث فتيات. الحاج الطاهر ابن المنطقة، ويعرف تضاريسها جيدا، بحكم تجربته السابقة أيام الثورة التحريرية**[2]**.)**

[1] المصدر نفسه، ص78.

[2] حرب القبور، محمد ساري، الجزائر تقرأ، الجزائر، الجزائر، سنة 2018، ص238.

كما نجد محور الرغبة المتمثل في القتال كذلك لدى الشخصية الرئيسية الثالثة «الضابط سمير» الذي اختار درب القتال بعد أن ذاق هو والجيش الأمرين من قبل الجماعات الإرهابية، حيث نرى في أطوار الرواية كيف أن العمال بسلك الأمن أيا كانوا في الجيش أو الجندارم أو الشرطة فهم على قوائم الإعدام لدى الجماعات الإرهابية يتصيدونهم مع كل فرصة ،في الطرقات، والثكنات، وأمام وفي منازلهم، فصار الجنود يخافون من أن يتعرف عليهم الناس في الخارج كونهم يعملون في سلك الأمن لكي لا يصيروا هدفا سهلا لتلك الجماعات الإرهابية ويظهر ذلك في هذا الشاهد على لسان شخصية «الضابط سمير» :(**لم تعد العسكرية مرتعا للنوم والأكل كما سابق عهدها. ذاك زمان ولىّ وإلى الأبد. عصفَت بالمنقطة أهوالّ أرقت لياليا وأربكت أيّامنا، كما جعلت الكثير منا نادمين على اليوم الذي بصموا فيه بسبابتهم على عقد التجنيد وكلهم ابتهاج وغبطة ... حتى تلك البطاقة البلاستيكية الساحرة التي كنا نسرع إلى إخراجها من جيوبنا باعتزاز وأنفة، اضطررنا مكرهين إلى إخفائها في حفر بلا قاع، خوفاً من الوقوع في حواجز مزيفة أضحت تُقام خلال الشهور الأخيرة في الطرقات العمومية جهاراً نهاراً. استبدلناها ببطاقات هويات متخيلة تحمل أسماء مهن على بعد سنوات ضوئية من العسكرية**[1].)

وبسبب ما ذاقه الجيش وسلك الأمن من مجازر في صفوفه من قبل الجماعات الإرهابية فقد عقد العزم على النهوض والمقاومة ضد هؤلاء الإرهابيين الذين قتلوا منهم ما لا يعد ولا يحصى فكانت لزاما عليهم أن تتملكهم رغبة القتال للدفاع عن أنفسهم وكذلك لرفع هذا الكابوس عن البلاد والعباد وهكذا عقدوا العزم على القتال كما يذكر على لسان «الضابط سمير» :(**تكاثرت تدريبات الجنود على استخدام السلاح والتمرينات الرياضية الشاقة كالجري بحقيبة الظهر الممتلئة بالحجر، والقفز فوق الحواجز والزحف تحتها. فكان الجميع يستعجل الإقدام على تطبيق التمرينات**

[1] حرب القبور، محمد ساري، الجزائر تقرأ، الجزائر، الجزائر، سنة 2018، ص24.

باهتمام وجدية غريبة. الكل ينتظر اللحظة الحاسمة، لحظة الخروج إلى قلاع الإرهابيين، لحظة خوض غمار الحرب الحقيقية، دون أن يجهر بها أحد. كانت الفكرة تعشش في أذهاننا، حاضرة في كل لحظة، ولكن لا أحد جرأ على النطق بها. كنت أرى الاندفاع والابتهاج على بعض الوجوه، كما أرى الخوف والحرجة على وجوه أخرى[1].)

تتجلى رغبة الضابط «سمير» وزملائه في قوات الأمن بشكل واضح في القتال، حيث يتطلعون لرفع الظلم الذي يتعرضون له على يد الجماعات المتطرفة في أحداث متعددة تتناولها الرواية. تلك الرغبة الملحة التي اكتسبوها بعد تجربة الخوف والقتل والفقدان، تُعَزِّز إصرارهم وتدفعهم إلى القتال والتصدي لجرائم الجماعات الإرهابية، سعيًا لإرساء العدالة واستعادة الأمان والسلام في المجتمع. إنهم يعتبرون أن مسؤوليتهم تتطلب الوقوف بقوة وشجاعة أمام هذه التهديدات الإرهابية، وبذل أقصى جهودهم لحماية المدنيين وحفظ النظام العام.

❖ **محور التواصل:**

يتجلى محور التواصل في عامل (الحوار) ويظهر جليا بين شخصية «الحاج الطاهر» وشخصية «الضابط سمير» الذي يجمعهما تواصل بالحوارات أثناء تمشيط الجبل بحثا عن الجماعات الإرهابية بعد أن تعاون «الحاج الطاهر» مدني ومجاهد سابق، هو وأهل قريته مع «الضابط سمير» العسكري على تمشيط الجبل حيث يختبئ الإرهابيون والتعاون على القضاء عليهم، يحكي «الحاج الطاهر لسمير» في الرواية عن حياته كمجاهد في صفوف جيش التحرير ضد المستعمر الفرنسي، والتي كانت في الجبال المماثلة للجبل الذي يتعاونان فيه الآن لمحاربة الإرهابيين يقول «الحاج الطاهر» : **(إيه يا ابني، عشنا أحوالاً فظيعة، لا أراكم الله مثلها! حياة كاملة لا تكفي لأحكي لك كل ما عانيناه من أجل استقلال البلاد. وتأتي اليوم شرذمة من قطاع الطرق وتريد تشويه ثورتنا وإغراق البلاد في حرب نحن في غنى عنها[2].)**

[1] المصدر نفسه، ص180.

[2] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص239.

ومن حواراتهم تبين لدى الشخصيتين أوجه التشابه بينهما والأهداف التي من أجلها تعاونوا لتحقيقها وعرف كل واحد ظروف الآخر كما يظهر من كلام «الضابط سمير» :(**الحاج الطاهر الذي يبدو أنه ينتظرني ليستأنف حكاياته الماضية والحاضرة. هكذا عرفت بالتفصيل وقائع هجوم الإرهابيين لقريتهم، بعد أن كان الخبر الذي وصلنا إلى الثكنة مقتضباً، يختصر في جملة: هاجمت مجموعة إرهابية تتشكل من حوالي عشرة أفراد قرية أولاد رحمون وقامت بمجزرة وخطفت فتيات**[1].)

يظهر بوضوح محور التواصل بين «الحاج الطاهر» و«الضابط سمير» في هذه الأمثلة، حيث يتشاركان نفس الهدف وهو القتال ضد ظلم الجماعات الإرهابية. يتواصل «الحاج الطاهر» مع «الضابط سمير» لمشاركته رؤيته وتحفيزه على تحقيق العدالة والحقيقة، بينما يتواصل «الضابط سمير» مع «الحاج الطاهر» للاستفادة من خبراته وتوجيهاته في مواجهة التحديات التي تصادفه في مسعاه لمحاربة الجماعات الإرهابية. يتبادل الاثنان الأفكار والخبرات بهدف تعزيز تصميمهما وتحقيق نجاح مهمتهما المشتركة.

ويتجلى محور الحوار مع أحد الشخصيات الرئيسية الثلاث «كريم» الجهادي في صفوف الجماعات المسلحة مع رفقائه في الجماعات الجهادية، والتي كان الهدف منها توجيه الجهاديين إلى الطريق الصواب في الجهاد وتحقيق شريعة الإسلام وإتباع هديها والذي حادوا عنه بوجهة نظر «كريم». ومن الأمثلة على ذلك تدخله في حوار قضية سبي نساء المسلمين والذي قامت به جماعته الجهادية وذلك باختطاف نساء من قرية يسكنها مدنيون عزل وبسبب هذه القضية اختلف الجهاديين وتنازعوا فيما بينهم:

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص241

ويصف تدخله في النقاش شخصية جهادية أخرى في الجماعة تدعى «فيصل الأفغاني» فيقول في الرواية: عندها تدخل «كريم» وهو نادرًا ما يفعل، الشيء الذي استغربته: **(هل يقبل أحدكم أن تختطف أخته أو زوجته ليضاجعها الرجال كما يفعلون مع عاهرات المواخر؟ إن المرأة شرف أهل هذه الأرض. قد يسمح الرجل بكثير من الهوان والظلم والعيش البئيس، ولكنه لن يسمح أبدا المساس بعرض نساء عائلته. يقتل بكل برودة ولا تهمه النتائج الوخيمة بعد ذلك، حتى وإن قضى بقية حياته في غياهب السجون[1])** .

هنا يظهر موقف «كريم» الصارم في هذه القضية وكيف أنه استعمل الحوار في موقف شائك كالذي هم فيه وكيف أنه رغم خلافه معهم إلا انه اختار الحوار ليحاول توجيههم وتصحيح أخطائهم والتعبير عن أفكاره بلغة الحوار حتى يتواصل مع جماعته المشتتة والتي حادت عن طريقها بوجهة نظره.

ويظهر الحوار عند شخصية «كريم» كذلك مع شخصية أخرى من الجهاديين وهو رفيق «كريم» واسمه «فريد زيتوني» وهو حوار محموم في بداية الرواية فقد كان الموقف هنا شائكا كان فيه «كريم» مسجونا من قبل جماعته ومحاوره هو رفيقه الذي يحاول إقناعه بالحوار على تغيير رأيه والمشي على هدي الجماعة وعدم معارضتها حتى لا يتعرض للتصفية فكان الحوار كالتالي:

(كريم :اسمعني أنت يا فريد! إننا نغرق في الرذيلة يوماً بعد آخر. لقد انحرفنا عن الدين الحقيقي.

الدين الحقيقي؟ هذا يعني أن هناك ديناً زائفاً ونحن أصحابه. هذا كلام خطر يا كريم!

حاول أن تفهم مقصدي ولا تتسرع في الحكم والإدانة. ما أردت قوله هو أننا"...

[1] حرب القبور، محمد ساري، الجزائر تقرأ، الجزائر، الجزائر، سنة 2018، ص280.

"إما أنك تتوب عن أفكارك الضالة ونسترجعك إلى صفّنا، وإلا فأنت أعرف بما ينتظرك." مباشرة، رفع فريد زيتوني يده إلى غاية رقبته ومرر طرف سبابته في إشارة واضحة إلى الذبح[1].)

يتجلى جوهر هذا الحوار في هذا الموقف المحموم، في رغبة «كريم» في التواصل والحوار مع رفاقه، على الرغم من وضعه السيء كسجين لدى الجماعة. إن تصميمه على إقناعهم بتغيير وجهة نظرهم والسير على طريق الحوار يكشف عن رغبته الصادقة في تصحيح الأفكار والتوجه نحو مسار أكثر انسجامًا مع معتقداته بدلاً من الاستسلام للتهديدات والضغوط. يظهر «كريم» إصرارًا على التواصل ومحاولة تبادل الآراء بشكل مفتوح وصادق، يعتبر ذلك الحوار فرصة لإيصال رؤيته وإلقاء الضوء على الانحرافات التي يعتقد أنها موجودة في الجماعة، يريد أن يعيد النقاش حول مفاهيم الدين والوصول إلى فهم مشترك حول الدين الحقيقي وكيفية تطبيقه في الحياة. مع ذلك، يظهر «فريد زيتوني» بموقف متشدد وعدم استعداد للتسامح مع وجهات نظر مختلفة. يستخدم التهديد المباشر وإشارة الذبح كوسيلة لإرغام «كريم» على الانضمام للجماعة مجددًا والابتعاد عن تشكيكه في المعتقدات السائدة. يركز «فريد» على الانتماء الجماعي والالتزام الكامل بالمجموعة، مهددًا بعواقب وخيمة في حالة عدم الانصياع.

❖ **محور المشاركة:**

وتتمثل في "المساعدة" التي تتجلى في رواية حرب القبور في شخصية «الحاج الطاهر» هو وأهل قريته قرية بني رحمون وهم سكان قرية معزولة في الجبل تعرضوا للاعتداء من قبل الجماعات الإرهابية فقرروا المقاومة وحمل السلاح ضد المعتدين، ولتحقيق ذلك استعانوا بالجيش الوطني والذي يمثله في الرواية أحد الشخصيات الرئيسية «الضابط سمير» وأعانوهم في تمشيط جبل بني رحمون، الذي يعرفونه ويحفظونه عن ظهر قلب، والسبب وراء حاجة الجيش لسكان هذه المنطقة هو

[1] المصدر نفسه، ص12 -13

صعوبة تمشيط تضاريس الجبل الوعرة المليئة بالمتاهات التي يكمن فيها الإرهابيون للجيش مستغلين جهل الجنود بها ولهذا تعتبر إعانة سكان بني رحمون لهم عاملا إيجابيا في حربهم ضد الجماعات الإرهابية والكلام على لسان «الضابط سمير» : (**شخصيا، لا أعرف طوبوغرافيا هذه الجبال... لحسن حظنا أن مرشدين أكفاء ومخلصين التحقوا بنا، والحاج طاهر وشلة من أصدقائه من فرقة الدفاع الذاتي يفتحون لنا أقفال هذه الدروب الوعرة. أسس الحاج طاهر مع عدد من أصدقائه المجاهدين والشباب المتطوعين، من عسكريين سابقين مثل الرقيب المسمى الجيلالي، فرقة للدفاع الذاتي لصد الهجمات الإرهابية منذ أن تعرضت قريتهم، أولاد رحمون، لاعتداء أسفر عن مقتل عدد من الرجال والنساء، وخطف ثلاث فتيات. الحاج طاهر ابن المنطقة، ويعرف تضاريسها جيدا، بحكم تجربته السابقة أيام الثورة التحريرية**[1]).

وتبرز رغبة سكان بني رحمون في قضاء غاية مشتركة مع الجيش الوطني، وهي القضاء على تهديد الجماعات الإرهابية التي تهدد سلامتهم وأمنهم. يجمعهم التحدي الكبير في مواجهة هذا العدو المشترك، ويعملون معًا لتحقيق هدفهم المشترك في حماية أنفسهم ومجتمعهم.

وتظهر روح المساعدة والتعاون في تعاون سكان بني رحمون مع الجيش الوطني. يقوم الجيش بدعمهم وتقديم المساعدة العسكرية والتكتيكية اللازمة لمواجهة الجماعات الإرهابية. يتشارك الجميع المعرفة والخبرة، ويعملون كفريق واحد لتحقيق النجاح في مهمتهم المشتركة.

كما يظهر محور المساعدة في أطوار الرواية في مساعدة شخصية «فريد زيتوني» أحد الجهاديين «لكريم بن محمد» أحد الشخصيات الرئيسية في الرواية، حيث أنقذه من القتل على يد «أبو كلاش » أحد الشخصيات الإرهابية

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص.238

القوية في الرواية والذي يعرف بوحشيته، بعد أن حدث الانقلاب داخل الجماعة الإرهابية بسبب خلافات وقعت بينهم في ما يخص قضايا عقدية تتلخص في أن الجماعة قررت سبي نساء من قرية (بني رحمون) وهي قرية يسكنها مواطنون عزل وبسبب هذه الفعلة حدث خلاف على صحة هذا الفعل من عدمه بين أفراد الجماعة الإرهابية وبدأت معركة بالسلاح تمكن فيها شخصية «أبو كلاش » من تصفية القيادة وفرض سيطرته على الجماعة وفي هذا الحدث وقف «فريد» أمام محاولة «أبو كلاش » اغتيال «كريم» وأقنعه بإعطائه فرصة لإقناعه بالانصياع له وهكذا قال «فريد» «لكريم» في الرواية :(**استغل أبو كْلاش فوضى الخصام وأجهز برشاشه في دقائق على جميع الرؤوس. مثلا تعرفه جيّدا، إنّه عسكري متمرس على القتال ولا يخطئ الرمي أبدا. ثمَ جمعنا نحن الناجين وقال «ابتداء من اليوم، أنا أميركم الجديد، وعليكم بمبايعتي وطاعتي.» فلم يكن أمامنا من اختيار إلا المبايعة والطاعة ... أُخبرك أنّه أبقاك حيّا بطلبي وبضماني وضمان فيصل أنك ستنضم إلى جماعتنا الجديدة بلا أدنى تردد**[1])

اقترح «تودوروف» قواعد أخرى لدراسة العلاقات بين الشخصيات الروائية تمثلت في ثلاث علاقات أساسية. وهناك علاقات أخرى يمكن اشتقاقها، حيث صاغ الناقد منها ثلاث قواعد هي: قاعدة التقابل، وقاعدة المطاوعة، وقاعدة الاشتقاق وتقوم الأولى (التقابل) على أن (كل واحد من المحمولات الثلاثة يتوفر على محمول يقابله ...فحضور رسالة ما في حد ذاته دليل على علاقة صداقة. وهكذا فالكراهية هي مقابل الحب)[2]

وبالنسبة لرواية حرب القبور تأخذ القاعدة الشكل التالي:

❖ **القتال يقابله الاستسلام:**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، الجزائر، الجزائر، 2018، ص10.

[2] وردة معلم، محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2021، ص67.

يتجلى فعل الاستسلام في شخصية «كريم» أحد شخصيات القصة الرئيسية : استسلامه أمام قرار إعدام صديقه «عبد اللطيف» وهو شخصية ضعيفة في القصة، يتعرض ويعاني بسبب هذا الضعف، وعجزه عن فعل أي شيء ليمنع منفذي الإعدام من تصفية «عبد اللطيف» أمام عينيه بعد أن تعرض رفيقه للاعتداء الجنسي من قبل شخصية «بوشاقور» وقررت القيادة أنها في حاجة للأخير فشخصية «بوشاقور» شخصية قوية يوصف على أنه قاتل بلا رحمة وينفذ الأوامر بلا أي تردد ودون طرح أي أسئلة فضلته القيادة على «عبد اللطيف» الضعيف والذي لا يفيدها في عملياتها، فوكلت شخصية «يزيد لحرش» و«فريد زيتوني» وهما شخصيتان من الجهاديين الذين يتصفون بالولاء للجماعة وينفذون الأوامر دون مناقشة لقتل «عبد اللطيف» ويصف كريم في هذا الشاهد ما حدث أثناء تنفيذ الحكم على «عبد اللطيف» : (**بقيت مشلولا في مكاني، لا أدري ما هو الموقف الذي كان واجبا علي اتخاذه. هل يجب أن أنقذ صاحبي مع العلم أن بندقية فريد مصوبة نحوي، أم أنني أجاري زميلي وأتركهما يفعلان ما جاء بهما إلى هنا؟ (...) خامرتني فكرة إنزال بندقيتي والدفاع عن صديقي، ولكن صوتا بداخلي يثبط عزيمتي.**) [1]

يعد محور الاستسلام محورا سلبيا عكس محور القتال من أجل قضية نبيلة لكنه رغم سلبيته إلا انه محور نشط أو نقول حافز سلبي نشط لأنه خلق علاقات بعد بين شخصيات الرواية فالبطل «كريم» باستسلامه لقتل رفيقه «عبد اللطيف»، وعجزه عن مساعدته تولدت في داخله كراهية لكل الشخصيات المسؤولية عن مقتله بداية من الشخصية التي اعتدت عليه وهو «بوشاقور» والقيادة التي قررت تفضيل «بوشاقور» على «عبد اللطيف»، وبالتالي تصفية «عبد اللطيف» على يدي «يزيد لحرش» و«فريد زيتوني» بعد أن كانت تربطهم علاقات أخوة تحت راية القتال من اجل إعلاء الحق الذي يؤمنون به.

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص172.

وتولدت عن هذه الكراهية الرغبة في الانتقام لدى «كريم» من قتلة رفيقه «عبد اللطيف» وهذا ما تحقق عندما تمكن من قتل «بوشاقور» في الأحداث المتقدمة من القصة، حيث كانت الجماعة تقوم بعملية إرهابية تقصد بها قرية يعيش فيها مواطنون بسطاء قرية (بن رحمون) لكن تفاجأت الجماعة بأن أهل القرية قد تسلحوا واستقبلوهم بالرصاص وهنا استغل «كريم» الوضع وقتل «بوشاقور» وجعل الحادثة تبدو كما لو أن أهل القرية هم من قتلوه :(**فبعد إغارتنا على قرية أولاد رحمون وسبي فتاتين وقتل بعض من رجالها ونسائها، ولكن الشيء الجديد الذي لم يكن في الحسبان أبدا هو أن يتسلّح سكان قرية أولاد رحمون ويقابلوننا بالرصاص مثل ما حدث منذ يومين. شخصيا، أفادني رد الفعل المسلّح هذا أيما فائدة، ومنح لي فرصة القضاء على بوشاقور النذل الذي أهان صديقي عبد اللطيف وتسبّب في تصفيته الجسدية**[1])

والطريقة التي نفذ بها «كريم» خطته كانت كما ذكرنا وهو استغلال المعركة ووضع رصاصاته في صدر «بوشاقور» ونسبها لسكان (بني رحمون) :(**لا أعرف كيف خطرت بمخي فكرةُ قتله. إننا وحيدان، والآخرون جميعهم اختفوا في الزقاق الفرعي. لن يراني أحد. والرصاصة التي ستصيبه لن يفكر أحد بأنها رصاصتي، بل إنها آتية لا محالة من القناصين المختفين على سطح الدار المقابل (...)صوبت بندقيتي اتجاهه وضغطت على الزناد بحقد دفين. ثلاث رصاصات متتالية إلى الصدر مباشرة. لا أريده جريحا ولو لدقائق معدودات. انشرحت أساريري وأنا أراه يَسقط كجذع شجرة على ظهره**[2])

خلاصة هذا المحور هو أن محور الاستسلام المقابل للقتال في هذا الحدث من الرواية يظهر أن الموقف كان سلبيا في البداية، لكنه محور نشط تولد عنه لاحقا فعل الانتقام والذي يمثل تحقيق العدالة من وجهة نظر شخصية «كريم» فيمن

[1] حرب القبور، محمد ساري الجزائر تقرأ، الجزائر، الجزائر، سنة 2018، ص.211

[2] المصدر نفسه، ص.275

اعتدى على رفيقه وتسبب في مقتله وتسبب كذلك في تغيير كامل في شخصية «كريم» من مؤمن بالقضية التي تنادي بها الجماعة إلى كاره وعدو لها.

❖ **محور الصمت وهو مقابل لمحور الحوار:**

ونجد هذا المحور في شخصية «كريم» الشخصية الرئيسية، بعد أن اكتشف أن الجماعة الجهادية التي ينتمي إليها لا تستمع إلى نصحه وإلى حججه الدينية، عندها آثر الصمت والنأي بنفسه عما يفعلون ونلاحظ ذلك في عدم محاورتهم بعد أن تيقن أنهم لن يستمعوا إليه في مسألة أخذ نساء قرية بني رحمون سبايا (**أنا ضد سبي النساء وأعتبر هذه الخطوة الجديدة منكرًا بشعًا وخروجًا عن الهدف الأسمى الذي من أجله حملنا السلاح وصعدنا إلى الجبال رافعين شعار الدولة الإسلامية.**)[1]

وقد امتنع «كريم» عن مشاركة رفاقه فيما يفعلونه بالسبايا لإيمانه ببطلان فعلهم، لكنه كونه لا حيلة له، فقد اكتفى بالانعزال عنهم وعن محاورتهم :(**امتنعت عن مضاجعة أي فتاة منهن برغم إلحاح يزيد لحرش (هيا يا كريم، خذ نصيبك من متع الدنيا... إنهن يانعات كحور العين اللواتي وعدهن الله للمجاهدين جزاء ومكافأة لهم في الجنة) ... اعتذرت بصمت وبحركة من يد وامتعاض قسمات وجهي. لو كان بإمكاني لحررتهن جميعا وأعدتهن إلى أهلهن. ولكن ليس باليد حيلة. ما علي إلا السكوت والإذعان لأمر الواقع وانتظار ما ستسفر عنه الأيام القادمة من تغيرات.**[2])

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص271.

[2] المصدر نفسه، ص272.

وهذا الحافز السلبي غير نشط لكنه يولد حدثا نشطا في آخر الأمر، عندما يجد «كريم» الفرصة للتعبير عن أفكاره بعد صمته الطويل في حدث يعتبر الأهم في القصة، حيث أتى شخص يدعى «المهدي» وهو عبارة عن رجل دين محترم من قبل الجماعات المسلحة وفتح النقاش وأعلن هو نفسه أنه يعارض فكرة السبي فوجد «كريم» فرصته للكلام الذي كتمه لشهور (**تدخل كريم وهو نادراً ما يفعل، الشيء الذي استغربته: "هل يقبل أحدكم أن تختطف أخته أو زوجته ليضاجعها الرجال كما يفعلون مع عاهرات المواخير؟ إن المرأة شرف أهل هذه الأرض. قد يسمح الرجل بكثير من الهوان والظلم والعيش البئيس، ولكنه لن يسمح أبداً بالمساس بعرض نساء عائلته. يَقتُل بكل بُرودة ولا تهمه النتائج الوخيمة بعد ذلك حتى وإن قضى بقية حياته في غياهب السجون.**[1])

وهذا التدخل وإن بدا إيجابيا إلا انه أدى إلى نتيجة سلبية إذ بعد أن عبر عن مكنوناته قامت معركة بين الجماعة المسلحة تعرض «كريم» فيها للضرب والسجن (**تدخل رافعًا ذراعيه، صارخًا بأعلى صوته: "يا جماعة الخيّر! تعقلوا... يا ناس! اتقوا ربكم... ألعنوا الشيطان**)، وها هي الضربة القاصمة الماكرة تأتيه من الخلف وتُسقطه أرضًا[2].وأدى إلى نتيجة سلبية وهي اقتتال الجماعة فيما بينها وتصفية بعضهم بعضا.

❖ **محور المساعدة يقابله الإعاقة:**

ويتجلى محور الإعاقة في موقف «الحاج الطاهر» الذي كان يتخذ موقف المتفرج أثناء تسكع الجهاديين في قريته قرية (بن رحمون) دون موقف سلبي ضدهم، وسمح أهل القرية للجهاديين بأخذ أسلحتهم والمواد الغذائية .لكن بعد أن أخذ الجهاديين فتيات من القرية كرهائن بغرض اغتصابهن تغير موقف «الحاج الطاهر» ومعه بني (رحمون) فقرروا **إعاقة** الجهاديين من دخول قريتهم ومساعدة الجيش على القضاء عليهم (**أسس الحاج طاهر مع عدد من أصدقائه المجاهدين**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص280.

[2] المصدر نفسه، ص6.

والشباب المتطوعين، من عسكريين سابقين مثل الرقيب المسمى الجيلالي، فرقة للدفاع الذاتي لصد الهجمات الإرهابية منذ أن تعرضت قريتهم، أولاد رحمون، لاعتداء أسفر عن مقتل عدد من الرجال والنساء، وخطف ثلاث فتيات. الحاج طاهر ابن المنطقة، ويعرف تضاريسها جيدا، بحكم تجربته السابقة أيام الثورة التحريرية[1])

القاعدة الثانية هي قاعدة المطاوعة: المحمولات المتولدة منها أقل انتشارا من القاعدة الأولى. وتقوم على أن كل فعل وله فاعل ومفعول به، ويمكن أن نطلق على هذه القاعدة قاعدة الانفعال[2] .وهكذا «كريم» الذي يمثل الجماعات الإرهابية يقاتل «سمير» الذي يمثل الجيش ويقاتل كذلك «الحاج الطاهر» الذي يمثل قرية بن رحمون وهو بدوره مفعول فيه فهم يقاتلونه بدورهم...

الحوار: «سمير» يحاور «الحاج الطاهر» و«الحاج الطاهر» يحاور «سمير» بدوره....

المساعدة: «الحاج الطاهر» يساعد «سمير» ويتلقى المساعدة من «سمير» في محاربة الإرهابيين. ...

الإعاقة: «الحاج الطاهر» يعيق الإرهابيين ويصعب مهمتهم والإرهابيون كذلك يعيقون حياة «الحاج الطاهر» وقرية بن رحمون بغاراتهم على القرية وسلبهم للأموال والأنفس.

وبهذه الطريقة توصل «تودوروف» إلى اثنتي عشر علاقة. استقاها من المحاور الثلاثة وقاعدتي التقابل والمطاوعة. ثم كشف عن علاقات من نوع آخر انطلاقا من قاعدة الكائن والظاهر. يقوم ملخصها على فكرة (أن المظهر لا يلتقي مع جوهر العلاقة ضرورة حتى وإن تعلق الأمر بالشخص نفسه وباللحظة نفسها). فهناك نوعان من العلاقات واحدة ظاهرة وثانية خفية. وهما متعلقان بادراك الشخصيات الروائية لما تقوم به لا بادراك القارئ[3].

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص238.

[2] وردة معلم، محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات، مديرية النشر لجامعة قالمة 2021، ص68.

[3] حرب القبور، محمد ساري، الجزائر تقرأ، الجزائر، الجزائر، سنة 2018، ص68.

ويوجد هذان المستويان لدى «كريم» وجودا واعيا، حيث يظهر مساندته لأعمال رفاقه الجهاديين من قتل واغتصاب للأبرياء لكنه يكن في داخله رفضا كبيرا لهذه الأفعال التي يراها خاطئة، وخارج الشريعة الإسلامية التي يؤمن ويدعو إليها ويخفي اعتراضه خوفا من العقاب والذي هو السجن والقتل.

❖ قاعدة الاشتقاق:

لنقم الآن باستخلاص سريع، إننا نحتاج على ما يبدو إلى مفاهيم ثلاثة لوصف عالم الشخصيات. فهناك أولا المحمولات وهو مفهوم وظيفي. مثل الحب أو المسارة ...الخ. وهناك من جهة ثانية الشخصيات، ويمكن أن تكون للشخصيات وظيفتان، فتكون إما ذوات للأفعال التي يتم وصفها بواسطة المحمولات أو موضوعات لها. وسنستعمل لفظ العامل. وهو لفظ نوعي نشير به إلى ذات الفعل وموضوعه في آن واحد. والعوامل والمحمولات وحدات قارة داخل عمل. وما يتغير هو التأليفات بين المجموعتين. والمفهوم الثالث أخيرا هو مفهوم قواعد الاشتقاق. وهذه القواعد تصف العلاقات بين المحمولات المختلفة. غير أن الوصف الذي نستطيع القيام به بواسطة هذه المفاهيم يظل ساكنا خالص السكون. وحتى نستطيع وصف حركة هذه العلاقات. وحركة السرد كنتيجة لذلك. سندخل سلسلة جديدة في قواعد نطلق عليها قواعد الفعل الروائي تمييزا لها عن قواعد الاشتقاق.

❖ قواعد الفعل الروائي:

تنطلق هذه القواعد من العوامل والمحمولات التي تحدثنا عنها والتي تربط بينها علاقة ما. وهي تعيين العلاقات الجديدة التي ينبغي قيامها بين العوامل كنتيجة نهائية [1]

وسنذكر هذه القواعد بما هو متوفر في رواية حرب القبور:

[1] طرائق تحليل السرد الادبي، تزيفتان تودوروف، مقولات السرد الادبي، الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب الطبعة الأولى ،1992، ص51.

1- «كريم» يشعر بالغبطة عندما يعطي معلومات حول الدين على مستوى الظاهر ولكن على مستوى الكائن هو مجرم حرب.

«كريم» هو شخصية متزنة وملتزمة بالشرع، يعمل على نشر الخير ويؤمن بأنه شخص طيب. يحمل رسالة الإسلام ويسعى لمحاربة الظلم، وبالتالي يقدم الفتاوى والحجج الدينية. يشعر بالسعادة والفرح عندما يتلقى الناس الفتاوى منه، ويكون مستعدًا للاستماع والرد على أسئلتهم. يُعتبر مرجعًا دينيًا موثوقًا ويتلقى احترامًا وتقديرًا من جميع من يعتبرونه مفتياً. والمثال الموالي يوضح ذلك وهو حوار بين قائد «كريم» في الجماعة الجهادية «يزيد لحرش» وقائد مجموعة أخرى «أبو جليل»:

(تدخل أبو جليل وأمسك عيسى من ذراعه ليقربه ليزيد لحرش، وقال: 'عيسى، مفتينا الرسمي. رد يزيد لحرش بنوع من الكبرياء: نحن أيضاً نستطيع أن نقول كذلك عن أخينا كريم. إنه بحر في الفقه، ونستشيره في كل صغيرة وكبيرة. أثلج صدري تقديم يزيد لشخصي باعتباري مفتي جماعتنا. لقد طردت بضربة واحدة التعب الذي كان يعصر صدغي. ها قد ارتقيت في سلم المسؤولية.[1].)

وهذا على مستوى الظاهر لكنه ورغم ذلك كان يشارك جماعته في الهجوم على القرى، وقتل أهلها وقتل العمال الأجانب، وإقامة الحواجز المزيفة التي يقتلون فيها كل من يشكون في كونه تابعا لسلك من أسلاك الأمن حتى أنه أجبر من قبل جماعته على ذبح رجل بيديه من العمال الأجانب، وهذا على مستوى الباطن، يقول: **(لا أعرف تدقيقا كيف بادرت إلى قطع رأس ذلك الغلام الأشقر. استيقظت تحت صراخ أصحابي وهم يهللون ويهنئون. ونظرت**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص68.

إلى يدي الملطختين بالدماء وأصابعي تشد المقبض الخشبي الملوث بالدماء هو أيضا. نزعه مني يزيد وغرسه داخل التراب لتنظيفه. أما جثة ذبيحي فقد تعاون الأصحاب على دحرها عبر منحدر ترابي قريب[1].)

الجماعة – ب أبو كلاش.

على مستوى الظاهر علاقة صداقة وأخوة.

على مستوى الباطن رغبة دفينة في السيطرة.

تجمع بين الجماعة الجهادية –أ- و«أبو كلاش» علاقة أخوة وصداقة على مستوى الظاهر لا الباطن فأبو كلاش يرغب بالسيطرة على الجماعة وتصفية من يعارضه وإذا عرفت الجماعة بذلك فإنها ستسلك ضد هذه الرغبة وتقضي على أبي كلاش، ولهذا فإن «أبا كلاش» يتظاهر بالسمع والطاعة، وتنفيذ عمله المتمثل في تدريب الجهاديين على استعمال السلاح الذي هو خبير فيه منتظرا فرصته ليستولي على الحكم، وهذا ما تحقق له عندما قام الخلاف في صفوف الجماعة. (**استغل أبو كْلاش فوضى الخصام وأجهز برشاشه في دقائق على جميع الرؤوس. مثلا تعرفه جيّدا، إنّه عسكري متمرس على القتال ولا يخطئ الرمي أبدا. ثم جمعنا نحن الناجين وقال «ابتداء من اليوم، أنا أميركم الجديد، وعليكم بمبايعتي وطاعتي.» فلم يكن أمامنا من اختيار إلا المبايعة والطاعة.[2]**)

أ -الجماعة - ب القرية – ج العسكر

علاقة تبادلية (المساعدة)

يحدث طارئ على مستوى (أ) هو الذي يؤدي إلى تغير العلاقة بينه وبين (**ب**). في البداية كانت تجمع بين "أ" الجماعة الجهادية و"ب" أهل القرية علاقة تعاون، إذ كان الجهاديون يأخذون أسلحتهم القديمة ويأخذون الأطعمة من

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص136.

[2] المصدر نفسه، ص10

حوانيتهم دون أن يشكل لهم أهل القرية أي عائق ولم يبلغوا عنهم السلطات، يقول الراوي: (**جماعات صغيرة من الرجال المسلح في أزياء تعلن عن هويتهم لأول ناظر. وليس بقريتنا لا مقر للدرك ولا للشرطة. كانوا يقتحمون الساحة الصغيرة المحاذية للمسجد قبيل غروب الشمس، يجوبون الشارع الوحيد بحرية واطمئنان، يدخلون المقهى، يشربون ما طاب لهم من قهوة أو شاي أو ليموناده، ثم يتوقفون طويلا عند البقال قبل أن يعودوا أدراجهم من حيث أتوا وأذرعهم محملة بأكياس مليئة بالمواد الغذائية. في البداية لم يكونوا يكلِّمون أحدا، باستثناء تحية السلام وطلب ما يريدون شراءه. ونحن بدورنا نكتفي بالنظر ورد السلام في همهمات خفيضة الصوت. إنهم متمردون ضد الحكومة في العاصمة البعيدة عنا، ونحن لا نعرفهم وليست لدينا معهم خصومات أو صراعات**[1].)

ولكن حدث طارئ ألم بالجماعة المسلحة الجهادية حيث لم يتحمل أفرادها الظروف الصعبة في الجبال لفترة طويلة بدون وجود نساء. لذلك، قرروا إتباع فتوى تدعو إلى ممارسة "جهاد النكاح"، وقرروا أخذ النساء كسبايا من قرية (بن رحمون) دون غيرها، ويظهر ذلك جليا من كلام أحد قيادي الجماعة الجهادية، وهو يحاجج لأجل صحة فتوى السبي ورجاحة القرار الذي اتخذوه:

(ثم لا تنسى أننا رجال من لحم ودم، ونعيش تعففا رغما عنا. لا نقرب النساء لأننا في حالة جهاد وحرب. وحسب ما قال لنا عيسى هذا المساء، فإن جنود الإسلام الأوائل كانوا يصطحبون نساءهم إلى المعارك وساحات الوغى. ونحن أيضا فكرنا في الأمر وسنحل هذه المعضلة قريبا بجلب النساء إلى إماراتنا. ومثلما قال لنا عيسى، نحن لسنا قساوسة مسيحين كي نبقى بلا نساء. للمسلم الحق في الزواج بأربعة، وفي حالة الحرب

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص39.

له حق سبي النساء، كما حدثنا عن زواج المتعة المنتشر عند إخواننا من الشيعة وذكر لنا حتى الآية التي تبيحه، ونحن أهل السنة غافلون عنها[1])

ولهذا قرر أهل القرية "ب" التصرف إزاء ذلك فتولدت لديهم علاقة مساعدة مع الجيش مشابهة لتلك التي كانت بينهم وبين الجماعة الإرهابية بل أفضل وأكثر عمقا، وجاء على لسان «سمير» الضابط في الجيش الجزائري:(**لحسن حظنا أن مرشدين أكفاء ومخلصين التحقوا بنا. الحاج طاهر وشلّة من أصدقائه من فرقة الدفاع الذاتي يفتحون لنا أقفال هذه الدروب الوعرة.ّ أسس الحاج الطاهر مع عدد من أصدقائه المجاهدين والشباب المتطوعين من عسكرين سابقين كالرقيب المسمى الجيلالي، فرقة للدفاع الذاتي لصد الهجومات الإرهابية منذ أن تعرضت قريتهم، أولاد رحمون، لاعتداء أسفر عن مقتل عدد من الرجال والنساء، وخطف ثلاث فتيات. الحاج الطاهر ابن المنطقة، ويعرف تضاريسها جيدا، بحكم تجربته السابقة أيام الثورة التحريرية[2]**)

وإذا عرف "أ" بهذه العلاقة سيتصرف ضدها وذلك باعتبار أهل القرية كخونة ومساعدين للطاغوت والذي هو الدولة، وبالتالي حلال قتلهم وقامت بسببه معارك بين أهل القرية والجماعة الجهادية.

(الطامة الكبرى أنّهم سلّحوا المدنيين، عساكر سابقين، دركيين متقاعدين، بطالين يبحثون عن أجرة، وحتى قدماء المجاهدين أغروهم برفع السلاح ضدنا، وشكلوا منهم فرق مقاومة ترصد تنقلاتنا خطوة بخطوة.

«بيّاعون قذرون !» تمتم بوشاقور

– إن هؤلاء المرتدين يستحقون عقابا شديدا، سيكون درسا لمن تسول له نفسه الوقوف في طريقنا. يجب أن نذيقهم العلقم، هم وعوائلهم، ليعرفوا أن البنادق التي وزعت عليهم لا تصلح إلا لإطلاق البارود في

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018. ص166.

[2] المصدر نفسه، ص238.

مواسم الأعراس. هكذا سيحجم الآخرون عن تقليدهم. إذا قرر سكان الأحواش الوقوف إلى جانب الجيش، قل السلام على جهادنا. هم وعاؤنا الأساسي بالرجال والأموال. ثم إنهم يعرفون سهل متّيجة بجميع دروبه وشعابه، كما يعرفون الكثير من أسرارنا[1])

وهكذا صارت علاقة أ وب علاقة عداوة وحرب وقتال فيما بينهم فكلا الطرفين كان على وفاق مع الأخر لكن لتلك الظروف تغير الوضع وصارت علاقتهما عدائية.

لقد درسنا الشخصيات وعلاقاتها في رواية حرب القبور للكاتب الجزائري «محمد ساري» والتي استعملنا فيها المنهج البنيوي الخاص بالناقد والفيلسوف «تزفيتان تودوروف»، وقد تم فيه تناول الشخصيات وتعريفها عند النقاد البنيويين في البداية، ثم خلصنا الى تودوروف الذي استعملنا خطوات تحليله في التطبيق على الرواية السابق ذكرها، البداية كانت مع المحمولات الأساسية التي حملت العلاقات الثلاثة الأساسية التي تتفرع منها بقية العلاقات وهي الرغبة والتواصل والمشاركة. ثم طبقنا ما تتفرع منه العلاقات باستخدام قاعدة التقابل وقاعدة المطاوعة، ثم طبقنا قواعد «تودوروف» الأخرى والتي تتمثل في قاعدة (الكائن والظاهر) والتي تبين أن الشخصيات تظهر أمراً وتضمر آخر، ثم طبقنا قاعدة التحولات الشخصية حيث توفرت الرواية على ثلاثة مظاهر من أربعة مذكورة في قواعد «تودوروف» حول التحولات الشخصية. وهكذا أظهرت القواعد المطبقة على رواية حرب القبور لمحمد ساري ان الكاتب يمتلك ملكة كتابية سمحت له بكتابة رواية متكاملة ونجحت في المرور باختبار «تودوروف».

ثانيا: السرد بوصفه خطابا في رواية حرب القبور لمحمد ساري:

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص43-44.

سندرس –في هذا الجزء –**السرد بوصفه خطابا**، وينطوي تحت هذا العنوان مجموعة من العناصر تعد بمثابة طرق للقبض على جماليته من منظور " تزفيتان تودوروف "، وتتجلى في:

–زمن السرد: وهو الزمن الذي يقدم من خلاله الراوي الرواية، ويشمل (التنافر الزمني والتسلسل، والتناوب والتضمين).

–مظاهر السرد: سندرس فيه علاقة الراوي بالشخصيات، وتشتمل المظاهر على (رؤية من خلف، رؤية مع، ورؤية من خارج).

–أنماط السرد: سنركز في هذا العنصر على دراسة الدراما ونمطها **العرض**، ومواضع القصة التاريخية، ونمطها **الحكي**، مع التركيز على أسلوب اللغة في كلا الموضعين (مباشر، غير المباشر).

أولا: زمن السرد:

اختلف النقاد والباحثون حول مفهوم الزمن وتشاكلوا في ماهية هذا المجهول والمحسوس في الوقت ذاته، فلم يعد الزمن ذلك الخيط الوهمي الذي يربط بين الأحداث، ولكنه غدا أكثر من ذلك بحيث أصبح أعظم شأنا وأرفع قدراً، فعرفه "**عبد المالك مرتاض**" بقوله: «**الزمن مظهر نفسي لا مادي ومجرد لا محسوس، ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر لا من خلال مظهره في حد ذاته، فهو وعي خفي؛ لكنه متسلط؛ ومجرد لكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة**».[1] بمعنى أن الزمن هو ذلك الشيء الذي لا يظهر وهو غير مادي لا يُرى، ولكنه معنوي ومسيطر أي أنه هو الذي يتحكم في السرد ومجرياته ونجد "**سيزا القاسم**" تعرفه بأنه: «**الهيكل الذي تُشيد فوقه الرواية، فهو حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى، هو القصة التي تتشكل وهو الإيقاع**».[2] فالزمن عندها مقرون بالعناصر السردية الأخرى، ومن خلاله تبنى الأعمال الروائية. وعرفه "جيرالد برنس" في

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 173.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، مصر،200، ص 38.

قاموسه بقوله: «**الزمن هو الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقف والأحداث المقدمة، وهو أيضا الفترة أو الفترات التي يستغرقها عرض هذه المواقف والأحداث**».[1] بمعنى أنه المدة التي يستغرقها الروائي في سرد أحداث روايته، فقد تطول أو تقصر تبعا لطبيعة الأحداث وأهميتها.

1. التنافر الزمني:

بما أن الرواية مجموعة من الأحداث غير المتسلسلة، فإن الراوي عند سرده للأحداث يعود للوراء ليسترجع أحداثاً مضت ويتطلع إلى المستقبل، حتى يأتي بأحداث لم تقع بعد. ففي الحالتين نكون أمام مفارقة زمنية. وفي رواية **حرب القبور** نجد الراوي استخدم عدة مفارقات زمنية سمحت له بالتلاعب بزمن الرواية، فتارة نراه يعود إلى الماضي، وتارة أخرى يتطلع للمستقبل، وبذلك فإن المفارقات الزمنية تحدث إما بالاسترجاع أو الاستباق.

أ– الاسترجاع: وهو سرد الرواية لأحداث وقعت في زمن ما. فيستعين الراوي بما ولى، وسبق من أحداث ماضية حتى يُفسر حدث الرواية، فهو «ذكر حدث لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة»،[2]حيث يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها.[3]وللاسترجاع نوعان:

أ–1– استرجاع خارجي: وهي عبارة عن سرد الأحداث منفصلة عن أحداث الرواية الرئيسية ،والهدف منها إعطاء تفسير، أو إيضاح مبهم للمتلقي حتى تكون صورة الأحداث واضحة في ذهنه، ولقد ورد في رواية **حرب القبور**، عدة استرجاعات من هذا النوع نذكر منها: استرجاع «الحاج الطاهر» لحادثة مقتل صديقه «سي رشيد» الذي أوصاه بابنه قبل موته في إحدى المعارك مع الاحتلال قال: (**كنت من الذين أصروا على توظيفه كاتبا لمكتب المنظمة بعد أن**

[1] جيرالد برنس تر: سيد امام ميريت للنشر والمعلومات، ط1، ص 201.

[2] جيرار جنيت، تر: محمد معتصم وآخرون، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، 1997م، ص 51.

[3] المصدر نفسه، ص 40.

توقف عن الدراسة وبقي يذرع أزقة القرية بلا شغل، لقد أوصاني عنه أبوه الشهيد "سي رشيد" قبل أن يلفظ أنفاسه بين ذراعي، ذات صبح بارد إثر إصابته بالرصاص في اشتباك مع الجيش الفرنسي).[1]

ونجده أيضاً عندما تحدث «كريم» عن هجرة الجماعات الإرهابية نحو الجبل؛ حيث استرجع أحداث هجرة الأنبياء قال: (**الهجرة فعل مقدس دأب على تجربته أغلب الأنبياء آخرهم رسول الله العزيز الكريم محمد عليه أنبل وأسمى الصلوات، حينما ضاقت به السبل في مكة، فتحدى بطش قريش وأهوال الصحراء، وقد قاد الله خطواته وحماه إلى غاية وصوله المدينة).**[2]

وقد يذهب الراوي في هذا النوع من الاسترجاع إلى تقديم معلومات حول الحياة السابقة لبعض شخصياته مثلما نجد في الرواية عند ما تحدث عن طفولة كل من «منير» و«الميلود الحملاوي»، ولقد أسهم هذا الاسترجاع في بناء نص الرواية من خلال ذكر ماضي الشخصيات وحالتها النفسية والاجتماعية.

أ-2- استرجاع داخلي: وفيه يعود الراوي إلى شخصية غابت عن مسار السرد، ويقدم ملاحظات بشأنها، يقول «فريد» «لكريم»: (**ليس لديك ما تقوله يا كريم، لقد فات الأوان أفقدت ذاكرتك؟ أليس المهدي هو الذي أرسلنا إلى هذه الجبال؟ أليست خطبه المتواصلة الداعية إلى مقاومة السلطة الكافرة هي التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه؟ أنسيت كيف كنا نبكر كل جمعة لحضور دروسه وخطبه الداعية إلى الجهاد؟ أنسيت بأنه أرسل كثيرا من الشبان إلى أفغانستان لاستكمال الجهاد والتدريب العسكري؟).**[3]

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، ص 34.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

[3] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، ص63.

وأيضا يقول «كريم» عن «بوشاقور» عند قتله «يوسف» الصحفي: (**لا أنسى ابتهاج عينيه، وهو يذبح الصحفي "يوسف" بيد من حديد، لم ترتعد ولم تتردد ولو جزءاً من الثانية بل قام مزهوا ودفع الجثة بركلة نحو الساقية**).[1]

وهنا قام الراوي «محمد ساري» باسترجاع ما كان يقوم به «المهدي» مع الجماعات الإرهابية وتقديم الخطب وغيرها من الأعمال لأجل قيام الدولة الإسلامية، وكذلك استرجع حادثة قتل الصحفي على يد «بوشاقور» بطريقة وحشية، والهدف من كل هذه الاسترجاعات توضيح الأحداث للمتلقي وربطها مع بعضها البعض.

ب– الاستباق: وهو من أهم تقنيات السرد الحكائي؛ حيث يقوم بذكر ما لم يحدث بعد فهو إذا «القفز على فترة ما من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية.[2]

تعطي هذه التقنية للنص جاذبية للانطلاق إلى أدق التفاصيل، وتجعل القارئ يبحر في مستقبل الأحداث والشخصيات، كون هذه الاستباقات تتميز بطابعها التنبئي، وهو نوعان: استباق داخلي واستباق خارجي.

ب–1– استباق داخلي: وهو الذي لا يخرج مداه عن الحكي الأول ،ويكون ذا نظرة مستقبلية لكنها مع المرور الزمني، أو في نهاية القصة تكون حقيقة واقعة ومقدرة فهو(يصف حكاية ثانية من النقطة الزمنية التي تنطلق منها ممتدة نحو المستقبل وتنتهي حدوده مع انتهاء زمن الحكاية الأولى)[3].ونجده في الرواية عندما تحدث «الحاج الطاهر» عن تكوين جماعة من رجال القرية للدفاع عن أهلها من المعتدين والثأر لمقتل ابنه يقول: « **هم يقتلون كل عسكري مهما كانت**

[1] المصدر نفسه، ص65.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2009، ص 132.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2009، ص 79.

رتبته وبعد مكانه عن العاصمة، وأنا أيضا سأخط الطري نفسها كل صاحب لحية يحمل بندقية هو المسؤول عن مقتل ابني ... باشرت الاتصال مع رجال أولاد رحمون الذين أثق فيهم لتشكيل عصبة من المسلحين للدفاع عن النفس ومطاردة المعتدين »[1]، فقد استطاعت هذه الجماعة المكونة من قدماء المجاهدين وضباط متقاعدين ورجال **قرية أولاد رحمون** أن ينتصروا على هذه الشرذمة في آخر المطاف ،وكذلك نجد «فيصل الأفغاني» في حديثه عن مساره الجهادي يستبق أحداث تنفيذ حكم الإعدام عليه، وكيف سيكون وضعه آنذاك فيقول: « **كنت أسرح مع خيالي وأتصور نفسي في وضعية مماثلة وأصيح بدوري " تحيا الجزائر الإسلامية " لأكون هكذا أول شهيد يُعدم بسبب الدفاع عن الدولة الإسلامية، وسيذكرني تاريخ هذه الدولة لأني كنت مقتنعاً بأنها ستقوم يوماً، كأول شهيد لها وسيُنجز فيلم عنّي، مشاهد تمسحها مشاهد أخرى وأرى نفسي واقفاً أمام فصل الإعدام المشكل من عسكريين يصوبون فوهات بنادقهم اتجاهي وظهري إلى الجدار ».**[2]

ب-2- استباق خارجي: وهو الذي يخرج مداه عن الحكي الأول للقص، حيث (يتحدد مداه من نقطة معينة من زمن الحكاية الأولى لتشكل حكاية ثانية بزمن يمتد نحو المستقبل)، نجد هذا النوع من الاستباق عند حديث «المهدي» عن إرساله مرشد إلى الجماعة لكي يوصلهم إلى جماعة «أبو جليل» يقول: **(لقد بعثت برسول إلى أبي جليل ليستقبلكم في منطقته سيبعث لكم مرشداً يوصلكم إليه استعدوا، سيصل المرشد في الأيام القليلة القادمة).**[3]

ونجد «بوشاقور» يتوعد «إبراهيم الجواج» بالقتل في الأيام القادمة بسبب خيانته لهم يقول: **(كان حليفنا فخدعنا وأصبح عدونا يستحق أن نبعثه يُشوى داخل نيران جهنم عبر أقصر طريق رد بوشاقور " هذه مهمتي أنا دون**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 78.

[2] المصدر نفسه، ص199

[3] المصدر نفسه، ص 77.

غيري، حسابه معي سأذيقه طعم جهنم في هذه الدنيا قبل الآخرة)، وأيضاً (ليس لدينا وقت نضيعه، الوضع خطير للغاية والقيادة العليا عازمة على استئصال هذه الجماعات في أقرب وقت ممكن، جاهزة وما عليكم إلا التنفيذ من مدكم والعتاد ... سنقيم ثكنة ثابتة هنا في أعلى هذه التلة ... وسنحيط كامل المنطقة بحزام عسكري .... سنحاصرهم في مغاراتهم، سنجوعهم ونجبرهم على الخروج من مخابئهم).[1]

فهذا استباق للأحداث التي سيقوم بها الملازم «سمير بوحازم» رفقة أفراد الجيش، وكذا فرقة الدفاع الذاتي المكونة من رجال قرية أولاد رحمون من أجل الإطاحة بأفراد الجماعات الإرهابية. فقد أعطت هذه الاستباقات للرواية صيغة الفضول للمعرفة والبحث في الشخصيات.

ج. قياس المدة الزمنية في الرواية:

وهي عملية يقوم بها الراوي لتسريع الأحداث، ويحدث تسريع إيقاع السرد حين يلجأ الراوي إلى تلخيص وقائع وأحداث، فلا يذكر عنها إلا القليل، أو حين يقوم بحذف مراحل زمنية من السرد، فلا يذكر ما حدث فيها مطلقاً.[2] ويشمل تسريع السرد تقنيتي الخلاصة والحذف. أو يحدث العكس فتأتي الأحداث متباطئة أو متوقفة ونكون هنا إزاء تقنيتي تعطيل السرد وهما المشهد والوقفة.

1. تسريع السرد: ويتكون من:

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 45.

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص 93.

أ-الحذف: (هو تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة بشيء إليها، ويكتفي عادة بالقول مرت سنتان أو انقضى زمن طويل فعاد البطل من غيبته وقطعاً وقد يكون محدداً أو غير محدد)[1]، ويعرف «حسن بحراوي» الحذف بأنه (تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث)[2].

وفي رواية حرب القبور نجد أن الراوي قد صرح في بعض المواضع بالمدة المحذوفة، يقول: (**ألم تتعلم شيئا من إقامتك هنا منذ أزيد من سنة**)[3]. وقوله أيضا (**لم يتغير من سحنته شيء بقي الرجل مثلما عرفته قبل عشر سنوات**) فالراوي هنا صرح بالمدة المحذوفة بإشارات زمنية عشر سنوات سنة.، وقول «فيصل الأفغاني» (**ومع ذلك مرت الشهور الأولى في رتابة بطيئة**)[4]،وأيضا قول «سمير» :(...**سنوات طويلة ونحن نتدرب على مواجهة عدو مفترض**).[5]

ولا يمكن الاستغناء عن هذه الحذوف، فهي تتيح للراوي تجاوز فائض الوقت في السرد كما تسهم في جعل القارئ يتخيل زمن الحكي، فيعطي له دورا في الرواية، وقد اعتمد «محمد ساري» على الحذف في روايته بكثرة نظراً لانتقاله بين الزمن الحاضر والماضي، وهذا لخلق تناسق زمني بين الأحداث واستخدام المؤشرات الزمنية (سنة، فصل، يوم) ليوهم القارئ بواقعية الأحداث المسرودة.

ب-الخلاصة: هي سرد لأحداث يفترض أنها وقعت في سنوات، أو أشهر أو ساعات فيتم اختزالها في صفحات، أو أسطر، أو حتى في بعض كلمات دون التعرض للتفاصيل.[6] ويعرف «حسن بحراوي» مبدئيا أهميتها بقوله: (تحتل مكانة محدودة في السرد الروائي بسبب طابعها الاختزالي الماثل في أصل تكوينها والذي يفرض عليها المرور سريعاً على الأحداث

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص 77.

[2] المصدر نفسه، ص 156

[3] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 11.

[4] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص 94.

[5] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 195

[6] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور أدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص76

وعرضها مركزة بكامل الإيجاز والتكثيف)[1]. ونجد في هذا النوع «الحاج الطاهر» يلخص الفترة الزمنية التي قضاها ابنه في الخدمة العسكرية، وكيف تغير حاله للأحسن، يقول: **(وفعلا ظهرت بوادر النعمة عليه بسرعة في أول زيارة له كان يرتدي البسة جديدة .... ولكن الفرح لم يدم إلا خمس سنوات وأربعة أشهر)**، وأيضا **(يبدو أنه حريق لم تمض عن شبه أيام كثيرة ليس أكثر من عشر أيام حريق مهول أحدثته طائرات الجيش يكون عدد القتلى قد تجاوز العشرين بكل تأكيد)**[2]

ويقول «فيصل الأفغاني»: «**ومع ذلك مرت الشهور الأولى في رتابة بطيئة لم أجد فيها إلا صديقي إسماعيل الحجوطي كيف أبادله همومي وخيبة أملي)**[3]، **(وكان عيسى مناقشا محنكا وعلى دراية كبيرة بحركات الأصولية الإسلامية المشرقية، قال بأنه قضى أزيد من سنتين بين ليبيا ومصر والعربية السعودية للعمل والدراسة، وأنت تسمعه يتحدث تقسم بجميع المقدسات أن الله اختاره ليؤدي دوراً ريادياً في إحياء الإسلام.)**[4]

قد جاء التلخيص في رواية (**حرب القبور** لمحمد ساري) متضمنا في حديث الشخصيات حول نفسها وماضيها، مثل سرد حياة «منير» منذ طفولته، وكذا حياة الحديث عن حياة «الميلود الحملاوي» بالتفصيل؛ حيث نجد حياة «منير» قد لخصها في أربعة عشر صفحة وحياة «ميلود الحملاوي» في سبع صفحات، ولم ينحصر استخدام التلخيص على إيجاز الوقائع وأحداث الرواية بل قدم وظائف أخرى كالجمع بين أحداث ماضية وأحداث راهنة لوجود رابط بينهما.

2. تعطيل السرد: وهي التقنية التي يهدف من ورائها الراوي إلى التمهل في سرد الأحداث وإعطاء مجال واسع لأحداث وقعت في فترة زمنية قصيرة وتكمن في تقنيتي المشهد، والوقفة، اللتان توقفان السرد وتبطئان وتيرته حتى تعطيانه نوعا من

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 2009، ص145

[2] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص .76

[3] المصدر نفسه، ص195.

[4] المصدر نفسه، ص82.

الواقعية، وبذلك يتيح توظيف تقنيات زمنية تؤدي إلى إبطاء إيقاع السرد وتعطيل وتيرته أهمها: المشهد والوقفة[1]، فهي عبارة عن مقاطع وصفية توقف السرد.

أ-المشهد: ينسحب السرد في هذه التقنية ويترك المجال للشخصيات حتى تعبر عن نفسها، فهو يعتمد كليا على الحوار الذي هو أساس بنائها «فحميد الحميداني» يعرفه بأنه المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد، وتمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق[2]

وتعج رواية حرب القبور بالمشاهد الحوارية بين الشخصيات نذكر منها: المشهد الأول الذي كان عبارة عن حوار بين «فريد زيتوني» و«كريم»، ومما جاء فيه: (**سلام الله عليك أخينا جاءته الإجابة على شكل همهمة بها عدوانية ظاهرة فأضاف: قل لي أخينا ... هل يمكنك أن تخبرني؟ ماذا أفعل هنا؟ قل لي يرحم والديك ماذا وقع بعد تلك المشاجرة بين الإخوة؟ مشاجرة؟ بل قل مجزرة واقتتال)**[3].

شغل هذا المشهد الحواري سبع صفحات من الصفحة الثامنة إلى الصفحة الأربعة عشر، ونورد أيضا هذا المثال:(**أنت من ناحية أولاد مسعود أليس كذلك – نعم ولكني غادرتها منذ أشهر قليلة وأسكن الآن هنا بالأربعاء وبالضبط في طريق الكاليتوس أكيد أنك تعرف المنطقة جيداً**).[4] وقد أخذ هذا المشهد الحواري أربع صفحات من الصفحة "233" إلى الصفحة "236" فقد كان الطابع الحواري غالبا على معظم المشاهد السردية في الرواية بين الحوار والمونولوج الداخلي، حيث سجل هذا الأخير حضورا محتشما في الرواية منها :(**إلهي أعني وسدد خطاي .... ماذا سأفعل وأنا أمام خيارين أحلاهما سم قاتل؟ موت بالذبح كبهيمة أم حياة في جسد جلاد ذليل لذبح بني جلدتي؟**

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص 94

[2] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور أدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص78

[3] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص8.

[4] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 233.

ذابح أو مذبوح؟ أي خيار هذا الذي سأختاره بمحض إرادتي؟ ... هل مكتوب علي أن تنتهي حياتي هنا في هذه القلاع الملعونة وأنا في ريعان شبابي؟ لا.. لا.. هذا جنون هذا انتحار).[1]

ولقد ترك الراوي في المونولوج الداخلي الشخصية تعبر عن نفسها لتسجل حضورها من خلال الكشف عن مكنوناتها ورغباتها.

ب–الوقفة: هي حركة سردية تتميز بتضخيم الخطاب وتعليق الحكاية تعليقاً تاماً ولهذا سميت وقفة، فهي تمطط الزمن السردي، وتجعله وكأنه يدور حول نفسه، ويظل زمن القصة خلال ذلك يراوح مكانه بانتظار فراغ الوصف من مهمته[2]،فهي تفسح المجال أمام الراوي حتى يقدم تفاصيل جزئية، وذلك بوصف الأماكن والشخصيات، وبذلك يبطئ حركة مسار السرد فيكون زمن القصة أصغر من زمن الخطاب؛ حيث تُعتبر (الوقفة الوصفية تقنية زمنية تقطع خطية السرد لتقوم بتشخيص الأشياء والكائنات ...)[3]

وفي الرواية العديد من الوقفات الوصفية تنوعت بين وصف الزمن، والمكان، والشخصيات. ومن أمثلتها وجدنا الراوي يصف الطبيعة، فيقول: (**هناك في السماء الداكنة يتدلى هلال رقيق ويبعث بنوره الشاحب عبر فرج أكوام غيوم متناثرة أطال النظر في ذلك الأفق الممتد هناك وراء الغيوم والهلال والنجوم في عمق الفضاء السرمدي المترامي إلى ما لانهاية**[4]**، وأيضا كانت الرحلة طويلة ومتعبة كلما توغلنا أكثر داخل الغابة إلا واختفت الدروب وبدأنا نشتق**

[1] المصدر نفسه، ص 15

[2] محمد نجيب العمامي، الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، دار محمد علي للنشر، ط 1، 2010م، ص 35.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 2009، ص19

[4] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 7.

المسالك بأنفسنا تنزلق أرجلنا وأيدينا تبحث باستمرار عن أغصان نتشبث بها دريا للسقوط تلهث تحت ثقل أمتعتنا ... وحدها القرى المُشكلة كجزر متناثرة كانت تتراءى بجدرانها البيضاء).[1]

حاول الراوي أن يُعطل مسار السرد من خلال هذه الوقفات مع الطبيعة، ويجعل القارئ يتأمل جمالها دون أن يشعر بالملل، من توالي الأحداث وتطورها. ونجد «سمير» يصف لنا حالة إحدى الشخصيات التي رافقته في رحلته يقول: **(في ذلك اليوم مثلما أصبحت أفعل منذ أسابيع تذكرت في لباس عامل ورشات البناء بسروال جينز فقد لونه الطبيعي منذ عقود عليه لطخات دهان وبقايا خرسانة وعلى رأسي بوني صوفي أسود اللون انسلت خيوطه ولحيتي لم أحلقها منذ ثلاثة أيام حملت هذه الخرق البالية في جراب قديم وتسللت كالذئب الخطاف إلى مرحاض مقهى بوسط مدينة تابلاط ولوثت بها جسدي بعجالة كادت تسقطني فوق الفوهة العفنة)**[2]، وأيضا يقول: **(غبطت لجاري شيخ ملفوف في قشابية بنية اللون الذي غطّ في سبات عميق بمجرد استواء سرعة الحافلة حسدته على تلك السكينة المتجلية في تقاسيم وجهه المُعظم).**[3]

كانت هذه الوقفات مع شخصية «سمير» ومرافقه كوصف تكميلي يخدم الحدث الرئيسي فقد تجاوز الوصف الملامح الجسمية للشخصية إلى وصف الألوان والألبسة، وهذا لتقريب الشخصيات إلى ذهن القارئ.

وقد لاحظنا بالنسبة للوقفات التي كان الراوي يصف فيها بعض الشخصيات أنها كانت تأخذ فترة قصيرة ثم يعود الراوي إلى مسار الحكي، فهي تعتبر محطات استراحة ولها تأثير في أحداث الرواية.

[1] المصدر نفسه، ص 62.

[2] المصدر نفسه، ص 25

[3] المصدر نفسه، ص 26.

لاحظنا عند دراستنا لرواية **حرب القبور** أن الراوي قد افتتح روايته من بؤرة سرد زمنية حاضرة، وذلك عند اعتقال «كريم» من قبل الجماعات الإرهابية وأسره، كما وجدناه حرر شخصيات الرواية من سلطة الزمن وترتيبه معتمداً على طابع الاستذكار (الاسترجاع)، واعتمد هذا العمل على صيغة التضمين، حيث تتضمن الحكاية الأساسية حكايات أخرى بداخلها، فالشخصيات هنا دائمة الترحال بين الماضي القريب، والبعيد كما لاحظنا أن «محمد ساري» قد تلاعب بالزمن الروائي للرواية – الماضي والحاضر والمستقبل – تلاعبا فنياً جمالياً فأدخل الماضي في الحاضر، وعلق الحاضر بالماضي، فزمن الخطاب الحاضر وزمن الحكاية هو الماضي.

وخلاصة ما تقدم أنه لا يمكن للسرد أن يستغني عن الزمن، وذلك بسبب دوره في ربط مكونات السرد، وكذا بناء أحداث الرواية، فالزمن مُهم في الحكي لأنه يعمق الإحساس بالحدث وبالشخصيات لدى المتلقي.

2- التسلسل:

هو ترتيب مختلف القصص ومجاورتها وبعد الانتهاء من القصة الأولى يتم الشروع في القصة الثانية.[1]

نلاحظ أن رواية حرب القبور «لمحمد ساري» هي مجموعة من الأحداث غير المتسلسلة التي وقعت إبان العشرية السوداء؛ حيث أن الراوي عند سرده للأحداث أخل بعنصر مهم في زمن السرد هو التسلسل، وخير مثال على ذلك أنه في القصة الأولى تحدث عن غدر«الجواج» بهم من خلال التصدي لهم هو وإخوته وتوعد «بوشاقور» له بالانتقام وبعثه إلى جنهم. ثم بدأ الراوي في سرد القصة الثانية التي أظهر من خلالها الأحداث التي صاحبت العسكري الضابط «سمير أبو حازم» أثناء عودته من الثكنة إلى البيت، وكيف أنه تخفى في ثياب بناء وغيرها، ليشرع في القصة الثالثة، والتي تعرفنا خلالها على «الحاج الطاهر» وخروجه للصيد، والتقائه بجماعة إرهابية طرحت عليه بعض الأسئلة لتعرف المسلحين في قرية

[1] وردة معلم، محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات. مديرية النشر لجامعة قالمة، 2021، ص69

أولاد رحمون، ليعود في القصة الرابعة ويكمل الأولى بانتقام «بوشاقور» من «الجواج» وإخوته، فهو لم يكمل القصة الأولى وانتقل إلى القصة الأخرى فاختل بذلك عنصر التسلسل.

وتطرق الراوي في القصة الخامسة إلى الهجوم الإرهابي على الثكنة العسكرية، وذبح عدد من العسكريين بتواطئ من أصدقائهم الخونة، والأمر الذي قدمه قائد الثكنة بعدم إخراج هذا الخبر إلى العلن، ليعود في القصة الثانية عشر ويبين وصول هذا الخبر إلى «الحاج الطاهر» و«محفوظ الشنوفي»، و«جمال بومسعود» من خلال تلقيهم لمكالمة هاتفية خلال اجتماعهم في قسم المجاهدين. وأشار الراوي أيضا في القصة السابعة عشرة إلى التحاق «فيصل الأفغاني» بالجماعة ليعود في القصة الثامنة عشرة، ويعرف به ويحكي قصة جهاده في أفغانستان، وأسره في سجون الجزائر، والطريقة التي أفلت بها هو وزميله «إسماعيل» من قبضة العدالة، والتي كان من المفروض أن تكون هي الأسبق ليتحقق التسلسل ويكون أكثر منطقية.

وظهرت كذلك في القصة الواحدة والعشرون شخصية «علي» الذي يشتغل عند الخباز لينقل الخبز إلى العسكريين في الثكنة أعلى الجبل مخاطرا بنفسه، مقابل مال يسد به جوع عائلته الهاربة من بطش الجماعات الإرهابية، ليبدأ الراوي في سرد القصة الثانية والعشرون، ليبين لنا خلالها تضامن أهل قرية أولاد رحمون مع الجيش ومرافقة «الحاج الطاهر» «لسمير بو حازم» في رحلة تمشيط عن الجماعات الإرهابية، ليعود ويكمل قصة التقاء «علي» بالجماعات الإرهابية في مهمة إيصال الخبز إلى الثكنة والاتفاق الذي أبرموه معه، وكل هذا كان في القصة الثالثة والعشرون مما جعل عنصر التسلسل غير محقق.

ورغم أننا قلنا سابقا أن هذه الأحداث وقعت في العشرية السوداء، أي خلال تسعينات القرن الماضي، لكننا نجد أن «محمد ساري» أتى بأحداث سبقت هذا التاريخ، أي أنه أيضا لم يلتزم بالتسلسل في زمن السرد. وما نستفيده من ذلك هنا هو عودة الحاج الطاهر إلى حادثة مقتل صديقه «السي رشيد» الذي أوصاه بابنه قبل موته في إحدى

المعارك مع الاحتلال؛ حيث قال: «**كنت من الذين أصروا على توظيفه كاتبا لمكتب المنظمة، بعد أن توقف عن الدراسة وبقي يذرع أزقة القرية بلا شغل، لقد أوصاني عنه أبوه الشهيد سي رشيد قبل أن يلفظ أنفاسه بين ذراعي ذات صباح بارد، إثر إصابته بالرصاص في اشتباك مع الجيش الفرنسي**».[1]

ونرى أيضا الاختلال في تسلسل زمن السرد من خلال تقديم الراوي بعض المعلومات حول الحياة السابقة، لبعض شخصياته مثلما نجد في الراوية عندما تحدث عن طفولة كل من «منير» و«الميلود حملاوي»، وذكر ماضي الشخصيات وحالاتها النفسية والاجتماعية.

وما نستنتجه أخيرا أن أحداث هذه الراوية غير متسلسلة وبها مفارقات زمنية فاصلة أيضا؛ فالراوي يبدأ في قصة دون أن ينهي الأخرى، فيما يعود إلى الأولى ليكملها كل هذا كان عاملا حال دون تحقق التسلسل والذي قد يكون فرصة لبروز عناصر أخرى.

3. التضمين: ونقصد به إدخال قصة في قصة أخرى. ويتجلى في رواية قرب القبور فيما يلي:[2]

القصة الثانية عندما كان الضابط «سمير أبو حازم» يتنكر بزي بناء، لكيلا يعرف أحد أنه عسكري، بالإضافة إلى تطرق الراوي للأحداث التي صاحبت رحلته، وقد تضمنت هذه القصة، قصة أخرى، عن الطريقة التي لعن بها صاحب المقهى وهي عبارة فيها نوع من الغموض، حيث يقول: «**تسللت كالذئب الخطاف إلى مرحاض مقهى بوسط مدينة تابلاط ولوثت بها جسدي بعجالة كادت تسقطني فوق الفوهة العفنة. وخرجت العن صاحب المقهى الذي**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 4.

[2] المصدر نفسه، ص 70

لم يجد من كامل المساحة الواسعة لمحله إلا مترا مربعا واحدا يخصصه لبيت الراحة، كما لا يكلف نفسه –أو أحد عماله–بتنظيفها وتعطيرها».[1]

ويروي الراوي قصة ثالثة، حيث أن «الحاج الطاهر» يحكي قصة خروجه للصيد والتقائه مجموعة من الملتحين الواضح عليهم أنهم إرهابيين، حيث أن التضمين كان في حديثه عن «جمال بومسعود» العارف لأمور السياسة وجديدها والذي كان بدوره مفتاحا للتطرق إلى قصة أخرى جرت أحداثها وقت الاستعمار الفرنسي والذي كان من شخصياتها «الحاج الطاهر» و«رشيد بومسعود» و «أبو جمال» الذي سقط شهيدا وأوصى هذا الأخير بابنه.[2]

وتشمل القصة الواحدة والعشرون تضمينا يتجلى في حديث «علي» عن رخصة السياقة ومدرسة تعليم السياقة اللذان لا يعدان موضوع قصته، حيث يقول: (**لم أملك رخصة سياقة وذات مرة أوقفتني فرقة الدرك الوطني، كادت تحجز الجرار بما حمل لولا لطف قائدهم الذي رق لتوسلاتي..... بعدها مباشرة قصدت أول مدرسة سياقة، وسجلت نفسي للحصول على هذه الوثيقة التي يملكها الجميع إلا أنا وقد تجاوز عمر الاربعين، ولم تكن مشكلتي في تعلم قيادة السيارة، وإنما في هضم تلك الإشارات المتشبعة التي بدت لي في البداية أنها متشابهة... رسبت مرتين ولكن في الثالثة عرفت كيف أمرر السيارة في مفترق الطرق، ونجحت وبعد ذلك كنت أنتهز أي فرصة أسافر فيها مع صديقي يملك سيارة إلا ورجوته أن يسمح لي بقيادتها لبعض كيلومترات، فلم تعد السيارة ترهبني وكنت أسأل دوما عن الإشارات**)

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 25

[2] المصدر نفسه، ص34، 36،35.

ضمن الراوي هذه القصة، قصة انتقاله عند الخباز، ليعمل لديه سواقا ينقل الخبز إلى الثكنة العسكري. وتشمل القصة الواحدة والعشرون تضمينها حيث تحدث عنه من خلال الانتقال إلى مكان آخر للعيش فيه وأنه بحاجة إلى عمل، وقد أرشده.

وورد تضمينين آخرين في القصة الثالثة والعشرون، حيث كان «**علي**» في طريق نقل الخبز إلى الثكنة العسكرية رفقة العسكري «عبد القادر» المتخفي بلباس مدني، فقد ظهر تضمين لقصة أخرى ضمن هذه القصة حيث يقول «علي»: (**فجأة توقفت سيارة أمامي، وما جعلني اضغط على الفرامل بقوة واندفاع تفاديا لاصطدامه اغتمت شتيمة وأنا مشرئب العنق ورأسي يتلفت يمينا وشمالا لمعرفة سبب التوقف المفاجئ أخرج السائق ذراعه من نافذة البوابة وأخذ يحركه بغضب مرافقا إياه بصراخ ووعيد عندئذ ظهر شيخ معهم يجر حمارا وعلى ظهره كيس خيشي ضخم يجتهد للالتحاق بالرصيف المقابل**).[1]

ويظهر التضمين الثاني عندما طلب «عبد القادر» من «علي» التوقف استعدادا لترجله فركن المازدا وسط القارعة فنقل لنا ما حدث بعدها قائلا: (**استأنفت السير بدفع قوي لقدمي على دواسة السرعة ذلك أن منبها قويا ارتفع خلفي، ألقيت نظرة على المرآة الارتدادية، فبدا لي شاب يلوح بيده الشاغرة وشفتاه تتحركان في شبه صراخ.....منزعج من توقفي الفجائي كما لو انني اقترفت أثناء عظيما لا أعرف لماذا يتصرف السواق الشباب بهذه العدوانية المفرطة تجدهم دوما قلقين، منفعلين، غير متسامحين، ولا متفهمين يصرخون ويلومون غيرهم لأتفه الأسباب.....تحسبهم من الحريصين على احترام قوانين المرور، ولكن تراهم أو لمن يخترق القوانين ويرتكب الحماقات نفسها التي يسبونها و يستقبحونها بألفاظ بذيئة والويل لمن انتقدهم؟ سيسمعونه وابلا من البذاءات،**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 252.

وإن تمادى .... ينقضون على خصمهم وبأيديهم عصي أو أعمدة حديدية، وتكثر مثل هذه المشادات في السوق الأسبوعي، وكم مرة كنت شاهدا على حدوث ملاكمات وشجارات أوصلت أصحابها، بعضهم إلى مركز الشرطة فاصلة والبعض الثاني إلى المستشفى فاصلة الله يستر من هذا القوم المنفلت من عقاله).[1]

وكانت هاتان القصتان القصيرتان ضمن القصة الثالثة والعشرون التي يسرد من خلالها وقائع نقل الخبز إلى الثكنة العسكرية.

4. التناوب:

ويقوم على حكاية قصتين في آن واحد بالتناوب، أي بإيقاف إحداهما طورا والأخرى طورا آخر.[2]ولم يحضر كثيرا في هذه الراوية إلا مرة واحدة، وذلك في القصة الثانية والعشرون ؛حيث يتحدث الضابط «سمير أبو حازم »عن انتقالهم إلى الثكنة الجديدة، وأنهم خططوا بمساعدة مدنيين أكفاء ومخلصين التحقوا بهم هم: «الحاج الطاهر» وأصدقائه لمرافقتهم في مهمتهم لفتح أقفال الدروب الوعرة في الغابات باعتبارهم أبناء المنطقة، فكان يستمع إلى حكايات «الحاج الطاهر» مرة، ويذهب إلى تشجيع مرافقيه مرة أخرى ليوقف هذه القصة، ويبدأ قصة أخرى تتمثل في استدعائه هو والنقيب «عبد الرحمن» من قبل قائد الثكنة ليتحدثوا عن خطورة الوضع الراهن وحاجتهم إلى العتاد العسكري والضباط المدربين لتكوين الجنود، وتطرق إلى قدوم المروحية التي تحمل عقيد، ومدني اربعيني من الأمن العسكري يحملان خطة للقضاء على الجماعات الإرهابية في الجبال[3] لينهي قصته هذه .ويعود في القصة الرابعة والعشرين ليكمل سرد ما تبقى

[1]محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 253

[2]المصدر نفسه، ص 70

[3]المصدر نفسه، ص 241...248

من رحلة التمشيط التي رافقه فيها «الحاج الطاهر» وأصدقائه والتي تكللت بتحرير الفتاة الهاربة من الجماعات الإرهابية[1]، والتي ساعدتهم في آخر الراوية على التحديد الدقيق لمواقع هذه الجماعات.

ثانيا: مظاهر السرد:

تتعلق هذه المظاهر بالعلاقة التي تربط الراوي بالشخصيات في القصة، وقد سبق للنقاد أن طرقوا هذه المقولة، ولعل أشهرهم الناقد الفرنسي «جون بويون» الذي يستعيد تقسيم «تودوروف» وتصنيفه والذي كان على هذا النحو:

أ –رؤية من خلف: وفيها يعرف الراوي أكثر من الشخصية ومثالها:[2](**حرك ساقيه مع رغبة جامحة على تمديديهما**)[3].

عرف هنا السرد رغبات الشخصية وما نلاحظه هو غلبة ضمائر الغائب، ونجد نفس الأمر يتكرر في العبارة التالية: **(واصل الحارس النظر إليه كما لو أنه يبحث عن جواب)** [4] فقد عرف الراوي ما يخمن فيه مع حضور لضمير الغائب "هو"

ونجد نفس الرؤية والتحليل السابقين يتكرران في قول «كريم» **:(خمنت أن غيابه يكون له علاقة بفكرة الانتقام التي ما فتئ يلوكها منذ تلك الليلة المشؤومة.)**[5] فالراوي عرف النوايا الخفية «لبوشاقور» والتي تأكدنا من حدوثها حقا فيما لاحق من نفس القصة في قول «بوشاقور» :(**لقد أرسلت الجواج إلى جهنم..... قال بوشاقور بنبرة هادئة**).[6]

وهنا تظهر الشخصية الانتقامية «لبوشاقور»، فهو لا يرحم من لا يسدي إليه خدمة حتى ولو كان من معارفه.

---

[1] المصدر نفسه، ص 264-269

[2] د وردة معلم، محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات، مديرية النشر للجامعة قالمة،2021، ص 70

[3]محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 7

[4]المصدر نفسه، ص 9

[5] المصدر نفسه، ص 47

[6] المصدر نفسه، ص 48

وفي القصة التاسعة أيضا مثال عن تحقق الرؤية من خلف فيقول الراوي:(**قدر الله ما شاء فعل، وما على عباده إلا الحمد والشكر، مات أخي فجأة ذات ليلة رمضاء)**[1] ثم تطرق بعد ذلك إلى موت الأخ الأكبر من منظور الشخصية ،فقال: (**خرجت أتجول بين الأزقة بحثا عن نسمة هواء منعشة وحينما عدت وجدته ممددا على ظهره، أحسست بلسعة الموت ترعد أول ما أدركت أنه مات)**[2] فالكاتب أشار إلى الموت قبل أن تنطق الشخصية بذلك تحقق هذا العنصر أيضا في قول «كريم» :(**حضور "بوشاقور" الملح إلى جانب "عبد اللطيف" أزعجني منذ البداية)**[3] فهنا «كريم» شعر أن «بوشاقور» تبنى نية خفية خبيثة «لعبد اللطيف» والتي حدثت بالفعل في القصة الحادية عشر.

وما نجده أيضا تحقق تنبؤ «كريم» لمكيدة «يزيد» و«فريد» اللذان يريدان من خلالها قتل «عبد اللطيف» والتخلص منه، حيث قال: (**تيقنت أن مثل هذا المكان لا يصلح إلا للقتل).**[4] والتي تحققت حقيقة بقتل «يزيد» «لعبد اللطيف». ولدينا في عبارة (**وهو يمط شفتيه ويهز رأسه دلالة الانزعاج والغيض)**[5]،«فكريم» استطاع أن يتعرف على أحاسيس «فريد زيتوني»، مع حضور واضح لضمائر الغائب، بذلك قدم لنا «كريم» نظرة مستقبلية لما سيقوم به مستقبلا في قوله (**لا أعرف كيف خطرت بمخي فكرة قتله).**[6]

واستطاع كذلك الراوي أن يعرف سبب عدم قدرة نوم الجماعة الإرهابية، فمن خلال النظرة من خلف بين لنا أن الإحساس بالجوع هو السبب، وعن ذلك يقول:(**أنى للنوم أن ينال من أجساد بطونها تتضور جوعا وأمعاؤها**

[1] المصدر نفسه، ص 89

[2] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 90

[3] المصدر نفسه، ص 62

[4] المصدر نفسه، ص 171

[5] المصدر نفسه، ص177

[6] المصدر نفسه، ص 275

تتعصر من الخواء)[1]والتي جاءت فيما بعد بلسان الشخصيات حيث قال إسماعيل: **(يا جماعة تريدوننا أن نموت جوعا هنا).**[2]

ب–رؤية مع: وفيها تتساوى معارف الراوي مع الشخصية، ومثال ذلك في الراوية:[3] **(هل سقط شهداء من عندنا؟ سأل يزيد. للأسف الشديد نعم، قتل أربعة مجاهدين ولكننا أنقذنا جثثهم ودفنهم في أماكن آمنة. لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون. لماذا قنبلت طائرات الجيش هذه المنطقة؟ سأل يزيد).**[4]فمعرفة الراوي هنا تساوت ومعرفة الشخصية، وتتجلى أيضا في قول الراوي**:(داخل كوخنا الذي أصبحنا ننام فيه في ليالي القيظ، تفاجأت بعبد اللطيف جالسا، يغطي وجهه بذراعيه ويشهق كالطفل الصغير أهمله أهله وحيدا في مكان مخيف.**

ما بك عبد اللطيف؟ سألته وأنا أجلس إلى جانبه من فرط التعب

لم يجبني بل انفجر بالبكاء.... أخيرا قال متلعثما.

بوشاقور الكلب.... بوشاقور العفن.

كانت النبرة شاكية باكية... ومع ذلك ألححت في السؤال:

قل عبد اللطيف. ماذا فعل لك بوشاقور؟ قل لا تخف ولا تخجل أنا صديقك وسأدافع عنك.

...نطقا متلعثما:

الحلوف الفايح.. أحسبني امرأة...

مستحيل كيف يتجرأ على هذا الفعل المشين؟ أظن أنك رفسته وأوقفته عند حده.

---

[1]محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 298

[2]المصدر نفسه، ص 298

[3] المصدر نفسه، ص 71

[4] المصدر نفسه، ص 60

ارتفع بكاء عبد اللطيف من جديد ودعا إلى إخفاء وجهه بين أصابعه

لا تقل بأنه...

نعم... هددني بسكينه... وضعه على رقبتي.... أرعبني بحيث لم أستطع فعل شيء ولا حتى الصراخ

الخنزير النتن .... سأشتكي ليزيد وسينال العقاب الشديد)[1].

وقد لفت الراوي الانتباه إلى أحد القضايا التي كانت تنتشر بين هذه الجماعات ألا وهي الشذوذ الجنسي والسعي وراء إشباع الغريزة، وقد تجسد هذا في شخصية «بوشاقور» الغامضة التي تستعمل اللغة العنيفة المشبعة بألفاظ الانتقام.

ونجد الرؤية مع، أيضا في هذا المثال:

«**حط السماعة نطقنا معا. "محفوظ" وأنا بلهفة:**

ماذا حدث؟

إنها مجزرة

قلت بصوت متهدج:

أأنت متأكد؟ ربما كان الخبر مجرد إشاعة؟

لا أظن ذلك. زميل لي في قسم الحزب بتابلاط هو الذي كلمني

كيف تحدث هذه المأساة داخل ثكنة يحرسها العساكر ليل ونهار أمر لا يصدقه العقل

هكذا قال لي. ليلة أمس تهجم رجال مسلحون على الثكنة وقتلوا عدد كبير من العسكريين.....

قال "محفوظ" متنهدا:

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 108

ربي يستر... إذا وصل حال الثكنة، القلعة المنيعة، إلى هذا التردي فعلى البلد السلام)[1]

وتتحقق هذه الرؤية أيضا في:

(قلت بصوت خفيض، مرافقا لندائي بحركة ذراع مطمئنة

"الجيلالي".... ماذا حدث؟

" سي طاهر"... "سي طاهر" أنا آت إليك....

قل لي "الجيلالي"؟ ماذا حدث؟

لا أعرف يا "سي طاهر"... لكن من خلال الرصاص والصراخ لا يكون إلا هجوما قامت به جماعة الجبال

أتعرف في أي مكان بالضبط؟

لا..... ولكن الجلبة آتية من قرب منزل "سي محفوظ"

"سي محفوظ"؟ هيا بسرعة.... لنلحق بهم....»[2]

كما أشار الراوي إلى واقع الخيانة الذي كان ينتشر آنذاك، فحتى العساكر كان منهم الخارجون عن القانون الناقمون على الشعب والحكومة، فكانت لهم توجهات متطرفة ورغبة في خرق القانون، كما تطرق الراوي أيضا إلى ظاهرة هجوم الإرهابيين على القرى المعزولة لأخذ السلاح والطعام واختطاف البنات وسبيهم، وهذا يبين ظلمهم وتمردهم على الدين باستباحتهم دماء المسلمين.

ونجد هذه الرؤية أيضا تتحقق في:

(أول سؤال طرحته على أمي:

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 120

[2] المصدر نفسه، ص 148

ماذا وقع للناس حتى يختبئوا في ديارهم بهذه الطريقة المخذلة؟

لماذا تأخرت إلى حد هذه الساعة؟ ألا تخاف على نفسك؟

خير إن شاء الله؟ ماذا وقع؟ أما زالت الشمس تلمع في وضح السماء....

كل الناس في الحي يعرفون أنك عسكري وضابط. وتمشي في الشارع وفي هذا الوقت...

لا تخافي يا أماه! المدينة آمنة. وليس لدي أعداء في الحي... هل كل العساكر الذين قتلوا لهم أعداء؟ ألم تسمع عن ذلك العسكري المسكين الذي أنزلوه من الطاكسي...وقتلوه بالرصاص دون رحمة وشفقة».[1]

لم يغفل الراوي كذلك عن نقل حالة الضيق والحصار التي كان يعيشها العساكر خارج الثكنة والمشاق التي تلحق بهم للوصول إلى أهاليهم، فبعضهم يقتل في حواجز مزيفة يقوم بها الإرهابين بغرض الانتقام من كل عسكري، وهذا ما يسمى بالأيديولوجيات المتصارعة لأن كل طرف يظن نفسه على حق، ويسعى إلى إبادة الطرف الآخر. وتتجلى نفس الرؤية في: (**الحمد لله..... أنتم من الجيش.. أليس كذلك؟**

نعم..... لا تخافي.... أنت بين أيدي آمنة..... من أنت؟ ماذا حدث لك؟

لم تجب غطت وجهها براحتي يديها وأجهشت في البكاء

اقترب منها الحاج الطاهر وتفرس محياها

لا تخافي بنيتي.... سنعيدك إلى أهلك...

ثم التفت إلي:

أكيد أنها كانت أسيرة عند الإرهابيين وتمكنت من الهروب وهو الدليل على أن مخبأهم ليس بعيدا من هنا)[2].

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص182

[2] المصدر نفسه، ص269.

نجد في هذه المشاهد الحوارية أن لغة كل المتحاورين متقاربة كما أن لهم نفس التفكير والتوجه وغايات واحدة، وقد تبينت لنا جوانب درامية في كل ذلك، وهو ما قابله حضور باهت للراوي، وهو ما تحقق من خلاله (الرؤية مع).

والراوي بين كذلك أن النساء اللاتي في الجبال مرغمات على ذلك لا مخيرات وأنهن لو أتيحت لهن فرصة الهروب لهربن لأن معظمهن مختطفات.

ج –رؤية من خارج: وفيها تعرف الشخصية أكثر من الراوي ومثالها:[1]بقينا جامدين، «يزيد لحرش»، «فريد زيتوني»، «عبد اللطيف» **(وأنا نسترق السمع إلى أدنى حشرجة، بعد لحظات بدت لنا دهرا دوت رصاصات أخرى متقاربة، أرعدت وأوصى لنا ثم صوت احذر..... يوجد واحد منهم وراء الدار صوت آخر ابق مكانك ولا تترك أحد يقترب. ساد الصمت.... لم تتوقف الكلاب عن النباح الهائج).**

يجهل الراوي والشخصية هنا كلاهما ما يجري أو ما سيحدث وهو المراد من هذه الرؤية. كما تظهر هذه الرؤية في قول الراوي: **(في البداية لم أر شيئا، كان ضوء الشمس يملأ عيني، لكن أنفي يلتقط روائح عفنة، روائح مرقد، ومطبخ حموضة..... أغمضت عيني تنفست بقوة لمحاربة الشعور بالغثيان، التفت باتجاه "عبد اللطيف"، كان يضع يده على أنفه مبحلقا بعينين هلعتين، كانت المغارة واسعة مظلمة جدا في العمق الذي ينحدر قليلا، صخور عديدة تبرز متناثرة بشكل غير منتظم وعليها شموع منطفئة..... على يمين المدخل فضاء متسع تتكدس فيه أكياس الدقيق.... ودلاء جركانات وبراميل بلاستيكية لتخزين الماء، قارورات الغاز، بعضها متصل بمواقد اسودت من النار وعليها قدور ضخمة).**[2]

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 72.

[2]المصدر نفسه، ص 70- 71.

ويجهل الراوي و«عبد اللطيف» المكان الذي هما فيه وقد تعرفا عليه بعد عودة النور إلى عينيهما فوصف لنا الراوي ما رأته عيناه وما التقطه أنفه من روائح دون زيادة أو نقصان.

وفي شاهد آخر نجد :**(كانت ليلة بلا بدر، زادتها غيوم متفرقة كآبة وعتمة، ولا يضيء زقاق منزلي إلا مصباح عمومي في المفترق الذي يتشعب منه زقاقان آخران يصعدان نحو الأعلى، إذ كانت أرضية قريتنا مائلة، وتكاد جميع أزقتها الضيقة صاعدة أو هابطة)**.[1] يصف الراوي ما وقعت عليه عيناه من خلال تصوير حالة السماء وتصوير أزقة الحي الذي يسكنه ولم يضف على ذلك شيئا.

ما نلاحظه في كل هذه النماذج أن الراوي يصف وينقل الأحداث كما هي دون تغيير في الوقائع حيث قدم لنا كل ما وقعت عليه عيناه فقط وهو ما نتج عنه غياب علامات الذاتية.

يبين الراوي من خلال الوقائع التي نقلها الظروف المزرية التي كانت تعيشها هذه الجماعات في الجبال والأخطار التي كانت تحدق بهم. كما أظهر من خلال بعض الحوارات التي نقلها كيف يتحول المواطن البسيط المسالم إلى شخص حاقد ناقم على الحكومة من خلال ما يتعرض له من ظلم وإهانة وتسلط بسبب ممارسة الشعائر الدينية لأن الحكومة عدت آنذاك أي شخص محافظ على صلاته إرهابيا متطرفا. كما صور لنا الراوي بعض مظاهر الحزن مثل النياحة التي كانت تنتشر بين نساء الجزائر للدلالة على الحزن.

ثالثا: أنماط السرد:

ذكر تودرورف في نمطين هما الحكي الذي ربطه بالقصة التاريخية والعرض الذي أسنده إلى الدراما حيث أنه أضاف وأشار إلى الموضوعية المتعلقة بالأسلوب غير المباشر وإلى الذاتية المتعلقة بالأسلوب المباشر.

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 158

أ–الحكي: حيث نجد الرواية تعج بالقصص التاريخية الإسلامية التي أخذها الكاتب عن السيرة النبوية ومن التاريخ الإسلامي. ومنها حديث «كريم» عن الهجرة نحو الجبل، وتشبيه ذلك بهجرة الأنبياء؛ حيث يقول :(**الهجرة فعل مقدس دأب على تجريبه أغلب الأنبياء. آخرهم رسول الله العزيز الكريم محمد عليه أنبل وأسمى الصلوات، حينما ضاقت به السبل في مكة فتحدى بطش قريش وأحوال الصحراء، وقد قاد الله خطواته وحماه إلى غاية وصوله للمدينة**).[1]

انبسط حديث «كريم» عن السيرة النبوية والهجرة التي قام بها رسول الله عليه الصلاة والسلام نحو المدينة هروبا من بطش قريش، وفي حديث «ابن كثير» في باب الهجرة يقول: (**أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحاق بإخوانهم من الأنصار وقال إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تؤمنون بها فخرجوا أرسالا**).[2]

ويقول «ابن كثير أيضا»: (**هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريم من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق، وذلك أول التاريخ الإسلامي، فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة**).[3]

ونجد الراوي قد استحضر لنا قصة موقعة الجمل الشهيرة، فيقول «**سأحدثكم في حادثة تاريخية أنا متأكد أن أغلبيتكم يعرفون عنها ولكنها غابت عنكم، أذكركم بأن حربا وقعت بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأتباعه وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأتباعها بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وسميت بموقعة الجمل انتصر**

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 41

[2] أبو الفداء إسماعيل، بن عمر بن كثير القريشي، تحقيق مصطفى عبد الواحد السيرة النبوية من البداية والنهاية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع مراسلات بيروت، لبنان، 1976، ص 215

[3] المصدر نفسه، ص232.

فيها جيش علي على عائشة وعند تقسيم الغنائم أراد رجال علي أخذ نساء المنهزمين كسبا يدخلن ضمن الغنائم التي يحق للغائب أن يتمتع بها، فرفض علي بن أبي طالب أن تسبى نساء المسلمين).[1]

ورد ذكر هذه الحادثة في كتاب "**الفتنة ووقعة الجمل**"..... "وكان أناس من الجرحى قد لجئوا إلى عائشة فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم. فسكتت فخرج علي فقال رجل من الأزد: **(لا تفلتنا هذه المرأة فغضب وقال: صه لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا، وإن الرجل يكافئ المرأة ويتناولها بالضرب بما عقبه من بعده فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس).**[2]

وفي هذه الحادثة محاولة للجماعات الإرهابية كي يجيزوا لأنفسهم بعض الأعمال التي كانوا يقومون بها على اعتبار أن هناك من سبقهم إليها.

ومن القصص المذكورة في التاريخ الإسلامي، قصة القاضي والذبابة وقد استحضرها «كريم» عندما كان جالس ينتظر «يزيد لحرش» عند مدخل المغارة والذباب يحوم حوله، فقال «**يزعجني الذباب الذي يحوم حولي..... تذكرت قصة القاضي والذبابة، ذلك القاضي الوقور الصلب، هو الذي لا ينزعج ولا ينفعل وتحركه أي قوة خارجية وتمكنت منه ذبابة صغيرة لا يكاد يراها».**[3]

نرى هنا أن الشخص مهما علا شأنه قد يتمكن منه أصعب مخلوق فيعكر صفو مزاجه كما هو الحال عند «القاضي عبد الله ابن سوار» وقصته مع إلحاح الذباب التي ذكرها «الجاحظ»: **(بينما هو كذلك ذات يوم أصحابه حواليه..... لقد سقط على أنفه ذباب وأطال المكث..... إلى أن فرغ صبره، وبلغ مجهوده، فلم يجد بدا في أن يذب على عينيه**

[1] ا محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص283.

[2] سيف بن عمر الأسدي التميمي، تحقيق أحمد راتب عمروش، الفتنة وواقعة الجمل، ج1، دار النفاس، ط7، 1993، ص180 .

[3] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص113.

بيده ففعل وعيون القوم إليه ترمقه فلما نظر إليه قال أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء، وأزهى من الغراب، واستغفر الله فيما أكثر من عجبته نفسه، فأراد الله عز وجل أن يعرفه ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت أني عن الناس من أزمة الناس وقد غلبني وفضحني أضعف خلقه) تمثلا في قوله تعالى: (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) الحج 73.[1]

ومن الحوادث التاريخية التي ذكرت حادثة المرأة التي استنجدت «بالمعتصم»؛ حيث ذكر في كتب التاريخ أنه في سنة ثلاث وعشرين ومائتين كان المعتصم بسامراء بعد بنائه القصر المعروف بالجوسق جالسا فيه، فاجأه كتاب على البريد من ثغر الروم، يذكر أن ملك الروم تطرق إلى نواهي الإسلام ومد يده إلى بعض القرى، وأنه أسر منها جماعة، وأنه من بين الجماعة امرأة هاشمية وأنها صاحت... (وا معتصماه) ،وحين قرأ الكتاب نهض من ساعته ،وعبر إلى الجانب الغربي، وأمر العسكر فخرجوا وسار ليلته والعساكر تتلاحق به... وأخذ ملك الروم أسيرا وطلب منه الهاشمية. ونجد الراوي قد استحضرها عندما تحدث عن قصة اغتصاب «عبد اللطيف» وصراخه

يقول «عبد اللطيف» **(كان علي ألا أتركه يفعل في المرة الأولى، ولو على حساب حياتي بعد ذلك الأمر سيان .... وحسرتاه! أكاد أصيح كما المرأة العربية: وا معتصماه!).**[2]

وأخيرا ما نؤكد عليه أن «محمد ساري» له زاد معرفي وثقافي في الدين الإسلامي، وقد ساعده ذلك في بناء روايته، حيث وظفه بما يخدم الراوية فجاءت في قالب فني متميز.

ب– العرض:

[1] ينظر قصة قاضي البصرة مع إلحاح الذباب
HTTPS://www:ajurry.com/VB/showtnread PHP?t=8284

[2] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص113.

ويتعلق بمواضع الدراما، وهي كثيرة في رواية **حرب القبور** ومتنوعة، وإذا أمعنا النظر نجد أنها تتقاطع ومظاهر السرد خاصة (رؤية من خارج) لأن كلاهما يركز على كلام الشخصيات، ومن أمثلة ذلك:

- قال قائد الثكنة بمرارة أرعدت صوته: (**ضابط المداومة هو الذي خدعنا وأدخل الدمويين إلى الثكنة**).
- قال الرقيب «عبد الرزاق» مندفعا ورافعا صوته، بوجه أسود من الهلع: «**كنت في المخفر ولكني العبد المأمور، كيف لي أن أعترض على أمر قائد المداومة؟ أليس هو رب الثكنة؟ ومن أرادني بأنه حقير، جحود، نكار لخير الجيش الذي صيره رجلا، ويبيعنا طعمة سائغة للإرهابيين؟**»[1]
- قال «أبو جليل»: (**هيا يا جماعة. باسم الله لوبيا سخونة... المتأخر قد لا يجد شيئا، يا فريد أحضر لنا المغارف والخبز إن أمكن**)[2]
- أضاف الدركي: (**شد في ربي يا شيخ..... ابنك خالد الله يرحمه....**)
- قال دركي آخر مواس: (**قضاء الله يا شيخ ابنك محظوظ.... مات برصاصة في الظهر..... لم يتمكنوا من القبض عليه.... ولكانوا ذبحوه..... ولكان موته أبشع ربي حبو ..... مات برصاصة .....**»[3]
- قول «بوشاقور» «لكريم» مهددا إياه (**هو أم أنت لك الاختيار.....**)[4]
- قول أحد النسوة (**المجرمين..... القتلة.... خدعوني في راجلي..... خدعوني في مريم بنتي.... المسكينة بنتي... آه يا ربي.... وعلاش هذا الظلم.... وعلاش هذه المصيبة اللي نزلت علينا.....**)[5]

---

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 54 .

[2] المصدر نفسه، ص 72 .

[3] المصدر نفسه، ص 76-77 .

[4] المصدر نفسه، ص 135 .

[5] المصدر نفسه، ص 151 .

❖ قول زوجة الدركي المغتال: (**خدعوني في بنتي... سرقوها.... ملايكة لم تسئ إلى أحد في حياتها.... إلهي رحماك..... ألطف بها ونجها من مخالب أولئك الوحوش)**

أضافت قصة ما وقع لها: (**تعرفت على وجه الخبيث الذي قادهم إلى البيت.... بقي طوال الوقت في الظل عند عتبة الباب، وقد غطى رأسه وجبهته بشاشية صوفية سوداء، شاشية أعرفها جيدا لقد اشتغل عندنا في إعادة صبغ البيوت الداخلية منذ حوالي شهرين، أكيد أنه هو من أخبرهم بأن للزوج بندقية..... اسمه نور الدين..... الله يحرق جثته في جهنم....)**[1]

قال «الحاج الطاهر»: (**أغلب الظن أن هؤلاء القتلة يكونون قد اختبئوا داخل أحراش وادي سيدي علي بهلول لكثرة وهاده ومغاراته ثم إن المنطقة المحيطة به خالية من التجمعات السكنية ولا وجود لطريق سيار وصل إليه)**[2].

وبعض مواضع (**الموضوعية**) التي تتعلق بالأسلوب غير المباشر، نجدها ترتكز أساسا في الدرب الفاتح: (**استيقظ فجأة والهلع ينخر أحشاءه كمن يخرج من كابوس مرعب أرسل بصرا زائغا قدامه فلم ير معلما أليفا مطمئنا. أحس بطنين مدوخ في صدغيه.... توقف القفص عن التأرجح)**

(سارت رعشة في كامل جسده كما لو أنه يتلقى الضربة الثانية فأغمض عينيه.... ونزلت خبطة حذاء على رأسه بقوة صخرة أفقدته وعيه)

(استنشق نفحة هواء طويلة النفس لإخراج الحصر الذي يخنق صدره.... مطالبا صاحب الصوت أن ينزع له العصابة التي تحجب عنه الرؤية والقيد الذي يشل ويوجع يديه»

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 155-156 .

[2] المصدر نفسه، ص 239

فمن خلال هذه الأمثلة نلاحظ غياب التحيز الشخصي للراوي وعدم اصداره لأي أحكام أي أنه انتهج الأسلوب الحيادي في الدراسة وأقصى التفاعل العاطفي، فالموضوعية هنا كانت وسيلة فعالة لتحقيق التطوير.

كما نشير إلى بعض مواضع (**الذاتية**) التي تتعلق بالأسلوب المباشر، ومن ذلك نجد في قول «كريم»:

(هذا هو المكان الذي سأعيش فيه ابتداء من اليوم، اللهم أعنا بالصبر اللازم لتحمل هذا البلاء الحسن كيف ولماذا تركت نفسي أنقاد إلى هذه المغامرة الخبيثة؟).[1]

فالراوي هنا يتحدث عن نفسه وأحاسيسه وما سيلحق به من مشاق جراء العيش في هذه الأدغال.

قول «فيصل الأفغاني»: (**خرجت راكضا في البراري مع مجموعة من الناجين، يتبعني "إسماعيل" كظلي، نقصد عمق الغابة لنحتمي بأشجارها.... كان يوما عسيرا أجري وألتفت إلى الوراء وأنظر إلى السماء، إلى تلك الهليكوبتر الضخمة التي لم أشاهد مثلها في أفغانستان).**[2]

يتحدث «فيصل الأفغاني» هنا عن مغامرته الشخصية التي عاشها وهو في حالة فرار من السجن حيث قصد الغابة للاحتماء بأشجارها لأن طائرة الهليكوبتر كانت تتعقبه وأشار إلى «إسماعيل» الذي كان يتبعه في كل تحركاته

رابعا: خرق النظام:

1- خرق القصة:

يتعلق الخرق في رواية حرب القبور بسلوك «بوشاقور» الذي يعد أحد ركائز المجموعة، حيث بدأ سلوكه هذا بالتقرب إلى «عبد اللطيف» والتودد إليه، ويتطور هذا الأمر إلى الحد الذي سولت له نفسه اغتصاب «عبد اللطيف» لكي يكشف هذا الخرق عن الغريزة الحيوانية التي يتصف بها «بوشاقور»، والتي تقوم على إشباع ذاته وغرائزها ورغم

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 72 .

[2] المصدر نفسه، ص 205 .

محاولة «عبد اللطيف» المقاومة إلا أن الأخير هدده بالقتل وأخضعه إلى ما يريد، ومن منظور المنطق والدين فإن ما فعله «بوشاقور» يعتبر شذوذا ويهتز عرش الرحمن جراء هذا الفعل المخل، ويكمن الخرق أيضا في الانحراف عن الهدف الأساسي الذي تريد هذه الجماعات تحقيقه، وقد أدى هذا إلى الحكم على «عبد اللطيف» بالموت رغم أنه الضحية لا المذنب، لكن في النهاية الجاني أخذ عقابه وقتل على يد «كريم» انتقاما لصديقه المظلوم، ويمثل خرق القصة أيضا لدى هذه الجماعات فيما تقوم به من سبي للنساء المسلمات ،وهو خرق لقوانين المجتمع .

ويتجلى الخرق كذلك مع شخصية «علي» الذي كلف بمهمة إيصال الخبز للجنود لمكافحة الجماعات والتصدي لهم، فإذ به يجد نفسه مرغما على تقديم الخبز للجماعات الإرهابية، الذي هو بدوره يمقتهم ويكرههم أشد كره باعتبارهم كانوا سببا في هجرته من مدينته ومنزله.

كما نجد الخرق في سلوك شخصية «الميلود» العسكري الخائن؛ حيث أنه بدل أن يقاتل الإرهاب ويقضي عليهم، قام بإدخالهم إلى الثكنة العسكرية، مما سهل عليهم تنفيذ تلك المجزرة وذبح العديد من العسكريين، ويكشف هذا الخرق عن خيانة «الميلود» لأصدقائه، ولم يكتف بهذا، بل استوطن الجبال مع هذه الجماعات لإكمال عملياته الإجرامية.

والأمر المشترك بين كل أفراد الجماعات الإرهابية الذين تم معهم خرق القصة، أنهم لقوا حتفهم سواء بالقتل أو الاعتقال. وقد استحقوا هذا جزاء ما فعلوا من خرق على مستوى القواعد والقوانين التي وضعها المجتمع والدين.

2- خرق الخطاب:

يتم خرق الخطاب في الكيفية التي تم بها إبلاغنا عن ذلك السلوك، وقد اعتمد الراوي على (الرؤية من خلف) وسنعرض بعض الأحداث والسلوكيات وكيف تم فيها خرق الخطاب.

-اغتصاب «بوشاقور» «لعبد اللطيف»: يقول «عبد الكريم»: **(لا أعرف لماذا ولكن حضور بوشاقور الملح إلى جانب عبد اللطيف أزعجني منذ البداية... لأن الرجل لا يحظى بثقتي وفي الأخير صدق شعوري وقام "بوشاقور" بفعلته.)**

-خيانة «الميلود» و «بوعوينة» لزملائهم العسكريين: في قول «سمير»: **(كيف تسلل هؤلاء القتلى إلى الثكنة دون أن يتفطن إليهم أي حارس رد باقتضاب هناك من ساعدهم من الداخل... هكذا سمعت ليتبين فيما بعد أن "الميلود" و"بوعوينة" والجندي الاحتياطي هم من كانوا وراء هذه الفعلة الشنيعة).**

وهكذا كان (للرؤية من خلف) دور مهم في الكشف عن سلوك «بوشاقور» الذي كانت شخصيته تعتز بالقوة والهدوء وكذلك الأمر بالنسبة إلى «بوعوينة» و«الميلود» والجندي الاحتياطي فقد كانوا في ثوب المدافعين عن وطنهم المساهمين في إعلاء راية الحق، ليغير الراوي هذا المنظور وترك الفرصة للشخصيات لتكشف توجهاتها وطموحاتها ورغباتها.

3-قيمة الخرق:

تتألف رواية **حرب القبور** من قصة، لنا أن نطرح سؤالا مفاده ماذا لو كان لهذه الراوية قصة أخرى؟ بالطبع أقول أن ذلك مستحيلا، لأن مخالفة النظام قد تمت والجرائم قد وقعت، مقاصد السرد تحققت، ولا يمكن أن تعود الحياة للموتى أمثال «عبد اللطيف» و العسكريين المغدور بهم و رجال القرية الأبرياء .كما لا يمكن أن تكف الشخصيات التي تظن نفسها تنصر الحق، الجماعات الإرهابية، عن خيانة العهود والمواثيق، ولكن يمكن لنا أن نتساءل عن الموقف النبيل لنفس «الحاج الطاهر» وجماعاته والقوات العسكرية و«سمير»، فمما لا شك فيه أنه كان بإمكانهم أن يجدوا وسيلة أخرى غير القتل لعقاب هذه الجماعات، تتيح لهم الاحتفاظ بهم كسجنائهم واحتجازهم بعد القبض عليهم، ولو حدث ذلك لوجدنا وجهتي نظر نافذتين قويتين، تريد كل واحدة منهما أن تفرض منطقها على الأخرى، ولكن هذا بمقتضى نظام المواضعة لن يحدث ،وهو الذي انتصرت له نهاية الراوية لأنه لا بد أن يسود منطق واحد، وهو من منظور الراوي منطق القوة والزعامة والحق والسيادة، لأنه من غير المعقول أن يتحقق خسارة الدولة بجيش وعتاد وكيان أمام جماعات خارجة

عن القانون ورسالة الراوية احتوت على عمق جمالي ؛حيث كانت نهايتها على الشاكلة التي ذكرت، ومن هنا فإن هذه الراوية تجد مبررها في خرق النظام نفسه فلو لم تخرج الجماعات عن قوانين الدين والمجتمع: اغتصاب، سبي النساء، قتل الأبرياء، إثارة الفتن، لما وجد للراوية مبرر.

النتـــائج:

من خلال تطبيق منهج "تودوروف" على رواية "حرب القبور" توصلنا إلى النتائج التاليّة:

نخلص إلى أن رواية حرب القبور التي تتناول متخيل الحرب في الرواية الجزائرية، والّتي قمنا بدراستها وفق المنهج البنيوي ممثلا بطريقة "تزفيتان تودوروف" والتي قسم فيها السرد على قسمين كبيرين هما السرد من حيث هو قصة، والسرد من حيث هو خطاب، نخلص إلى أن الكاتب" محمد ساري" كاتب ذو ملكة روائية فذة ويتقن صنعة الرواية إلى حد كبير، بالنظر للجانب التطبيقي في السرد من حيث هو قصة ترى أن الكاتب قد استطاع من حيث الأحداث عرض قضية الحرب بطريقة مرتبة في روايته وبتطبيق منهج تودوروف تبين لنا أن الاحداث في الرواية تسير على ثلاث طرق رئيسية تظهر القضية المتناولة الشائكة بوجهات نظر متعددة خدم القصة وفهم الحرب في الفترة التسعينية التي تناولتها الرواية، وأما من حيث الشخصيات فنرى أن الرواية قد تضمنت تسعة عناصر من أصل ثلاثة عشر علاقة سطرها تودوروف.

وبالتالي فإن الروائي في روايته حرب القبور تمكن من تنويع شخصياته وعلاقاتها بشكل يظهر قدرة كبيرة على خلق شخصيات متعددة وربطها في علاقات محورية تخدم القصة.

-وجدنا في الزمن الذي دارت فيه أحداث الرواية تداخلا بين الأزمنة، فالراوي ربط الماضي بالحاضر دون أن يجعلنا نحس بالفجوة الزمنية.

-استخدم محمد ساري التقنيات السردية ونوع فيها لأنها تعد من أهم وسائل السرد وضروریاته الفنية، وأبرز تقنيتين هما الاستباق والاسترجاع كونهما ركيزة أساسية تقوم عليها الرواية الجديدة.

-عمد الراوي في هذه الرواية إلى الإكثار من الحوار أو ما تسمى بتقنية المشهد، حتى يطلعنا على مواقف الشخصيات مباشرة دون واسطة منه، وذلك كي يقرب القارئ من الشخصيات ويفهم أفكارها.

-ما لفت انتباهنا النهاية المفتوحة لرواية "حرب القبور" ولعل ذلك يعود إلى ظاهرة الإرهاب التي مازالت إلى يومنا هذا في الجزائر.

الفصل الثالث:

أبعاد ودلالات سرد الحرب في رواية

"حرب القبور"

- أبعاد سرد الحرب في رواية حرب القبور
  - البعد النفسي
  - البعد الاقتصادي
  - البعد السياسي
- دلالات سرد الحرب في رواية حرب القبور
  - الحرب من خلال الأحداث
  - الحرب من خلال المكان
  - الحرب من خلال الزمان
  - الحرب من خلال اللغة

تمهيد:

تعد الحرب موضوعاً معقداً ومثيراً للجدل يستحوذ على اهتمام العديد من الكتاب والروائيين في أعمالهم الأدبية، إن رواية (حرب القبور) للكاتب «محمد ساري» تعد من هذه الأعمال التي تسعى لاستكشاف أبعادها المتعددة ودلالاتها المعقدة.

تتحدث هذه الرواية عن حرب محددة وقعت في تاريخ الجزائر وبصمت عقدا من الزمن بالدم والنار وعرفت هذه الفترة "بالعشرية السوداء"، حرب أهلية بين جماعات ناقمة اختارت رفع السلاح ضد الدولة الجزائرية وأجهزة أمنها ولدت حربا راح ضحيتها الآلاف، وفي هذا الفصل سنتحدث عن أهم الدلالات والأبعاد التي تناولتها رواية "حرب القبور" بتفاصيل تظهر لنا قدرتها على تناول موضوع الحرب المعقد بمختلف جوانبها.

أولا: أبعاد خطاب الحرب في رواية حرب القبور:

1-البعد النفسي:

الحرب هي حدث مؤلم يؤثر على الفرد والمجتمع بشكل شديد، ويترتب عليها آثار نفسية عميقة على المشاركين فيها، سواء كانوا جنودًا أو مدنيين. وعندما تصف الروايات الحرب، فإنها تستخدم اللغة والأسلوب والرموز لتصوير هذه الآثار النفسية بشكل مؤثر.

وفي الروايات التي تتحدث عن الحرب، يتم توضيح العديد من الجوانب النفسية التي تتضمن الخوف والتوتر والقلق والخيبة والأسف والغضب واليأس والشعور بالوحدة والضعف والتحطيم النفسي. ومن خلال هذه العواطف والمشاعر، يتم إيصال رسالة قوية عن تدمير الحرب للإنسانية والضرر النفسي الذي تتسبب به.

ويتجلى البعد النفسي في رواية حرب القبور التي تتحدث عن "العشرية السوداء"، وهي فترة زمنية مليئة بالحروب الدموية بين الجيش والدولة الجزائرية وبين الجماعات الجهادية التي قررت رفع السلاح في وجه النظام الحاكم. وتركز الرواية على تأثير الحرب على الشخصيات الرئيسية، وكيف يؤثر التوتر والضغط النفسي المستمر عليهم. ويظهر الخوف والرعب وعدم اليقين فيما يرويه الروائي على لسان شخصياته الرئيسية الثلاث التي تمثل كل طرف من أطراف الصراع؛ فهناك العسكري، والجهادي، والمواطن المدني... ويتم تصوير الشخصيات في حالة من القلق والاضطراب النفسي بسبب الحرب التي تتسبب في تغيرات نفسية وجسدية دائمة، ويعاني الجميع من مشاعر الفقد والخسارة والاضطرابات النفسية الأخرى التي تترتب على هذه التجربة الصعبة.

ويبدو البعد النفسي جليا في شخصية البطل «كريم» الذي ينتمي إلى الجماعات الجهادية، وهو يحمل السلاح عاقدا العزم على تحقيق آماله النبيلة بالقوة ليصطدم بصعوبة تحقيقيه لحلمه ومواجهة حرب ضروس بين جماعته والجيش والمواطنين المسلحين وليس هذا وحسب، بل وقع كذلك ضحية حرب نفسية داخل الجماعة التي ينتمي إليها عندما وجد أنهم لا يؤمنون بنفس القيم التي يؤمن بها. واعتقد أنهم يماثلونه في الهدف، لكنه وجدهم يرتكبون الجرائم من قتل للأبرياء، وخطف، واغتصاب، حتى أنهم قاموا باغتيال رفيقه في الكفاح ظلما. هنا دخل البطل «كريم» في صراع نفسي ملؤه الخوف والغضب والندم على ما هو فيه ولم يعرف ماذا يفعل، وهو يقف في الوسط بين دولة ظالمة وجماعة ظالمة هي الأخرى، لا يدري إلى أي مكان يذهب؟ وماذا عليه أن يفعل؟ فلا يقدر سوى على الإذعان لجماعته الظالمة مكرها، والتي أجبرته على القتل والخطف وفقد أعز أصدقائه بسببها. هنا يبرز الروائي الصراع النفسي الحاصل في شخصية «كريم» الذي وقع ضحية لا حول لها ولا قوة في الواقع الأليم المصاحب لتلك الفترة الزمنية التي كانت الحرب كل ما يدور فيها.

ويظهر البعد النفسي في شخصية الضابط «سمير» بشكل مماثل حيث يظهر الروائي المعاناة التي يتعرض لها الجنود وكل من يعمل في سلك الأمن من خوف ورعب من أن تختطفهم أيدي الغدر في أي لحظة، فالجماعات الجهادية قررت استهدافهم بأي شكل من الأشكال، في الطرقات، في منازلهم، وداخل الثكنات، وكان دمهم مباحا لديهم، وهذا ما يتعرض له «سمير» في أطوار الرواية ؛ إذ تبدأ أحداث قصته وهو متنكر في زي عامل بناء، ذاهبا إلى منزله في عطلة من العمل في الثكنة العسكرية، خائفا ومرتعبا من أن يقع في حاجز مزيف ويتعرف عليه الإرهابيون، وهذا بالضبط ما حدث حيث وقع في حاجز مزيف، فكان في صراع نفسي من الخوف والرعب من أن يتعرفوا عليه، والنتيجة ستكون الذبح بسكين غير حاد لكن لحسن الحظ مرت الأزمة بسلام، بعد أن تركهم الإرهابيون يمرون، إلا أن الرعب عاد عند تعرف أحد الإرهابيين عليه لكنه لم يش به، بل اكتفى بالتسليم عليه وتركه يذهب .وهنا ليس لنا سوى أن نتخيل مقدار الرعب والضغط النفسي الذي تعرض له «سمير» في طريقه من الثكنة إلى بيته وخوفه من فقدان حياته على يد الإرهابيين ...وتتواصل صراعات «سمير» النفسية عندما يعود من عطلته ليكتشف أن ثكنته قد تعرضت لعملية داخلية خان فيها أحد القادة الجيش واغتال مع اثنين من رفاقه، سبعة جنود داخل الثكنة ولاذ بالفرار إلى أعالي الجبال. وهنا يظهر الصراع النفسي الأكبر للجنود؛ إذ لم يعد يعلم أحد بمن يثق فإذا كانت الثكنة المكان الحصين ضد أي اعتداء تتعرض لمثل هذه المجزرة وخيانة الجنود لبعضهم، وارتكاب المجازر بدم بارد. فبمن يثق المرء إذن؟ وكيف يأتمن الجندي ظهره لجندي آخر في ساحة المعركة وهو لا يدري إن كان سيحميه أو يطلق عليه ليحدث ثقبا في مؤخرة جمجمته، وهكذا تولد الصراع النفسي لدى كل الجنود جاعلا شعار كل منهم: عدم الثقة بأحد والحفاظ دائما على العيون مفتوحة فأنت لا تدري هل يقتلك عدو أم صديق؟ ولا تدري هل أنت بمأمن في أي مكان على الإطلاق حتى في الثكنة المنيعة؟

وهنا يطرح الروائي الصراع النفسي العسير الذي يقع على عاتق الجنود والضباط، وهو الخوف من الأيادي الغادرة وفي نفس الوقت الواجب الواقع على عاتقهم بأن يتصدوا لتلك الجماعات الإجرامية التي ترصدهم.

ويظهر البعد النفسي عند الفئة الثالثة من هذا الصراع وهي المواطن المدني العادي الذي من المفترض أن لا ناقة له ولا جمل في هذا الصراع، إلا أنه وجد نفسه مقحما رغما عنه فيه، فمن خلال شخصية «الحاج الطاهر» يكشف المؤلف الصراعات النفسية التي يوضع تحتها المواطن الأعزل العالق بين جبهتين، ففي البداية يتصف المواطنون بالحياد رغم مشاعرهم السلبية تجاه الجماعات المسلحة من بغض وعدم رضا عن تواجدهم عندما يمرون بهم، لكن دون الحد الذي يدفعهم لفعل شيء إزاء ذلك، كما يسمعون عن الحوادث الإجرامية التي تحدث في أرجاء البلاد بنوع من الأسف وخوف متزايد من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم. إلا أنه مع مرور الفصول في القصة يقع المواطن ضحية القتل والخطف لتلك الجماعات فيبدأ الشعور بالخوف الذي يغشى أهل قرية «الحاج الطاهر» ويتملكهم اليأس والحيرة لكن شخصية «الحاج الطاهر» وهو مجاهد سابق لا تزال تحمل في داخلها شجاعة ثورية وقوة إرادة وعزما على الدفاع عن الأرض والعرض تؤجج مشاعر النخوة في قلوب المدنيين وتدفعهم للمقاومة برفع السلاح والتعاون مع الجيش للقضاء على الجماعات الإرهابية.

باعتبار أن الحرب ضد الإرهاب هي موضوعٌ يتعلق بأحداثٍ حقيقية يعيشها العالم اليوم، فإن الأدب وخاصة الرواية تلعب دورًا هامًا في تصوير هذه الأحداث والتعرض للجوانب النفسية والاجتماعية التي تترتب عليها. ومن خلال البحث في رواية حرب القبور، يمكن القول إن البعد النفسي يلعب دورًا هامًا في هذه الرواية. التي تصور الشخصيات الروائية التي تعاني من تأثيرات الحرب والإرهاب، وتركز على الجانب النفسي لهذه الشخصيات وتأثير الحرب على حياتهم النفسية. ومن خلال تصوير هذه الشخصيات، يتم إبراز الصراعات النفسية التي يواجهها الناس الذين يعيشون في ظل الحرب والإرهاب، مثل القلق والتوتر والخوف والانعزال.

ولذلك، يمكن القول إن البعد النفسي في الرواية يعد عنصرًا أساسيًا لتصوير الحرب ضد الإرهاب، ولتعرض الصراعات والتحديات التي يواجهها الناس في هذه الحقبة الزمنية الحرجة. فالرواية تعتبر وسيلةً فنيةً قويةً لتسليط الضوء على هذه الأحداث وتعريض الصراعات وهذا ما نجح فيه «محمد ساري» في روايته حرب القبور.

2- البعد الاقتصادي:

على الرغم من كون الرواية تركز بشكل أساسي على الجانب الإنساني لمسألة العشرية السوداء، فإنها لم تغفل الآثار الاقتصادية الناجمة عنها والتي ظهرت بوضوح في طيات الرواية. فشخصية «علي» هي ربما أبرز شخصية توضح هذا البعد، فقد دفعه الصراع الدائر في الجبال إلى ترك منزله وعمله، وكل ما يملكه، والنزوح إلى المدينة برفقة عائلته والعديد من المواطنين الذين يخافون على حياتهم وأسرهم من الصراع القائم في الجبال. تجد هذه الشخصية نفسها تعيش في بيت قصديري، وتعاني من الفقر وعدم وجود فرص عمل بسبب الزحام المتزايد في المدينة، الذي نتج عن النزوح المتزايد يومًا بعد يوم.

(تعكر مزاجي كلية منذ أن سكنت هذا الحي القصديري الكئيب بطرف مدينة الأربعاء، (...) تاركاً داري وأرضي في أولاد مسعود بأعالي غابة أخنيشة (...)كان همي الأول إنقاذ عائلتي من عار قد يسبّبه لها اختطاف ابنتي، ولم أطرح أي سؤال.)[1]

ويجد «علي» نفسه في حاجة ماسة إلى عمل يسد به رمقه ورمق أسرته، وبعد البحث يتلقى عرض عمل من قبل مالك لمحل لبيع الخبز والحلويات بمرتب جيد، إذا كان على استعداد لتحمل مخاطرة كبيرة. فالمهمة بالنسبة إليه هي إيصال الخبز إلى الثكنة العسكرية الجديدة في الجبل، حيث كان يعيش سابقا وهرب منها إلى المدينة خوفا من الجماعات

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص229

الإرهابية. وعلى الرغم من الخطر الكبير، إلا أنه يقبل العرض بسبب الحاجة الملحة وعدم توفر العمل في البلاد، ولأن المبلغ المقدم له مغرٍ جدا. كما هو مبين في الشاهد أدناه:

(كيف أعود إلى مكان هجرته قسرا منذ أزيد من ستة أشهر؟ والأخبار الآتية من هناك لا تشجع حتى على التفكر في زيارة خاطفة وحيدة، (...) ومن جهة أخرى كم أنا بحاجة إلى شغل يضمن لي أجرة قارة. أنا بحاجة ماسة إلى مال قد يدخل بعض البهجة إلى أفراد عائلتي، (...) أخذ الخباز بيدي ودس بها أوراقا نقدية انشرح لها صدري ومحت آخر الترددات.)[1]

ويبدأ عمله في إيصال الخبز إلى الثكنة العسكرية بأعالي الجبل وفي مرة من المرات، وهو عائد من الثكنة إلى المحل توقفه جماعة من الملتحين بقوة السلاح ويخبرونه بأنهم يعرفون بعمله مع الطاغوت كما يسمون أجهزة الدولة وأن دمه مهدر لتعاونه هذا (**تعرف بأنّك تتعامل مع الطاغوت... – وعملاء الطواغيت أعداء الله. وجزاء العملاء القتل... – بل الذبح..**)[2] لكن وبدلا من أن يقتلوه يعرضون عليه عرضا يحفظ له حياته وهو أن يزودهم بالخبز كما يفعل مع الثكنة وسيدفعون له مقابل الخبز. (**– نعفو عنك بشرط... – أن تزودنا بالخبز مثلما تفعل مع العسكر... سندفع لك ثمَن الخبز ولكن لا تخبر أحدا**)[3]

ويدخل علي في صراع نفسي فإذا وافق فقد يعتبره الأمن خائنا، ومتعاونا مع الإرهاب، وعقوبته السجن أو الإعدام، وإذا رفض فعليه أن يترك العمل وعندها لن يجد بما يسد رمقه وعائلته، فينقل الأمر إلى صاحب المحل التاجر العجوز الخبير، فيقرر الأخير أن يربح من الجميع فيبيع الخبز للجيش وللإرهاب في نفس الوقت ليكسب مالا بذكاء في

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص 236

[2] المصدر نفسه، ص .256

[3] المصدر نفسه، ص.258

خضم هذه الأزمة التي تمر بها البلاد. فيقول لعلي: (**اسمع جيّدا سي علي... ليس بإمكاننا ترك العساكر بلا خبز. لذلك، فعندك سلّة زيادة، سلّمها لأولئك الـ... واحرص على أن يدفعوا ثمنها. قل لهم بأنك اشريتها من مخبَزة أخرى ودفعت ثمنها من جيبك.**)[1]

فأذعن علي لأوامر صاحب المخبزة، وعمل مكرها مع الخطر المحدق به من كلا الطرفين، وحياته على المحك فقط لأن الحالة الاقتصادية في تلك الفترة كانت صعبة لهذه الدرجة، ولا حل آخر أمام الناس سوى عمل أي شيء لإطعام عائلاتهم.

وتظهر أحداث الرواية وتجربة شخصية «علي» الصعوبات الاقتصادية التي تعيشها البلاد خلال فترة العشرية السوداء، حيث تضرر الاقتصاد من عدم الاستقرار الأمني وتوقف التنمية والاكتظاظ السكاني في المدن الكبيرة، مما أدى إلى انعدام فرص العمل وزيادة معدلات البطالة والفقر والجوع.

وتركت هذه الظروف القاسية أثراً كبيراً على حياة الناس، مثل شخصية «علي» الذي اضطر لترك عمله في الجبل ونزوحه مع عائلته إلى المدينة، والعيش في بيوت قصديرية، والمعاناة من قلة العمل، وصعوبة الحياة. فهذه التجربة تعكس حقيقة مريرة لعدد كبير من الناس في تلك الفترة تحت الظروف الاقتصادية الخانقة للبلاد نتيجة غياب الأمن والصراع القائم.

3-البعد السياسي:

تناول الروائي في روايته حرب القبور قضية العشرية السوداء (1999-2002) في الجزائر، وهي قضية سياسية من البداية تحولت إلى حرب أهلية لمدة عشر سنوات متتالية بين النظام الحاكم والفصائل المسلحة الموالية للإسلام

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ ،2018، ص.262

السياسي. وقد أورد الروائي في روايته الأسباب والنتائج السياسية المؤدية لهذه الحرب الأهلية والأبعاد المرافقة لها :حيث يذكر الروائي على لسان شخصية «منير» المواطن الذي عايش الأحداث المؤدية إلى اندلا ع الحرب الأهلية بكل تفاصيلها أن الأوضاع الاقتصادية التي كانت تعصف بالبلاد من أزمة البطالة والسكن التي مرت بها الجزائر جعلت الملاذ الوحيد للناس هو الدين الذي ساعدهم على احتمال هذه الظروف الصعبة، وقد تحرك دور الدين في الجزائر من المسجد إلى المشاركة في التغيير السياسي عندما سمحت الدولة بالتعددية الحزبية، وشاركت أحزاب إسلامية في السباق، أهمها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، والتي كانت تحظى بدعم كبير من قبل الشعب المحافظ الذي احتمى بالمسجد لفقره وقلة حيلته، ونجح الحزب في تقلد المناصب والفوز بالانتخابات البلدية حيث يمكنهم من خلالها الوصول ومساعدة المواطن البسيط بشكل مباشر. وشخصية «منير» الذي كان يبحث عن سكن في بلديته، تلقى وعدا من رئيس البلدية الذي ينتمي إلى حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ أن يقبل ملفه لأنه يحتوي على كل الشروط اللازمة لمنح السكنات لمن يحتاجها حقا (**الحق يقال إن المير الجديد رحب بي أيما ترحيب واستمع إلى شكواي، ووعدني بالحل القريب إن شاء الله. طلب مني إعداد ملف جديد وسيكلِّف شخصيا لجنة نزيهة بدراسة الملفات، وسوف لن يستفيد من السكن إلا المحتاج فعلا**) [1] لكن بدأ الصراع في ديسمبر عام 1991، عندما استطاعت الجبهة الإسلامية للإنقاذ هزيمة الحزب الحاكم، جبهة التحرير الوطني، في الانتخابات البرلمانية الوطنية. وألغيت الانتخابات بعد الجولة الأولى وتدخل الجيش للسيطرة على البلاد، وتم حظر الجبهة الإسلامية للإنقاذ واعتقل الآلاف من أعضائها، وكان رئيس البلدية أحد المعتقلين، وبالتالي تبخرت أحلام الناس بتوزيع عادل للسكنات وتحسن الأوضاع المعيشية للبلاد، فخرج الشعب في مظاهرات عارمة منددا بهذه الاعتقالات التعسفية، وبإيقاف الانتخابات غير المشروعة فبدأت الاعتقالات تتزايد لكل من ينتمي لحزب

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص.91

الجبهة الإسلامية والإنقاذ وتطورت إلى أن وصل إلى كل من له مظهر إسلامي من لحية وقميص وحجاب شرعي، فخاف الناس وحلقوا لحاهم وغيروا من لباسهم، وتعرض منير إلى هذا الظلم من تعذيب وتنكيل واهانة أمام الملء هو وغيره من الشباب الذين لا حول لهم ولا قوة، فقرروا بسبب هذه التصرفات حمل السلاح والانضمام إلى الجماعات المسلحة في الجبال، التي قررت المقاومة ضد الجيش الذي سلب منهم فوزهم في الانتخابات.

ويذكر الروائي التداعيات السياسية السائدة في البلاد بسبب إلغاء الانتخابات البرلمانية التي فاز فيها حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ على أنه من أخطر الأحداث التي شاهدتها الجزائر في تاريخها الحديث. وقد أثار هذا الإلغاء غضب الكثير من الجزائريين، وتسبب في احتجاجات واسعة ومظاهرات ضد الحكومة والجيش. كما أدت هذه القرارات إلى تصاعد الصراعات السياسية والاجتماعية في البلاد، وزادت من حدة الاحتقان السياسي والاجتماعي بين الطبقات الشعبية والنخب الحاكمة.

وهذا ما نشهده في أحداث الرواية مع مختلف شخصياتها التي تمثل أطراف الصراع من إرهابي، ومدني وعسكري وهم الذين يعانون من تبعات هذه القرارات السياسية الظالمة للسلطة الحاكمة فالشاب المظلوم وجد نفسه في جماعات مسلحة يخاطر بحياته في الجبال عاجزا عن العودة لأهله لأنه سيعتقل أو تتم تصفيته من جماعته نفسها، وهذه الجماعة التي يفترض أنها تقاوم الظلم، بينما تمارسه بنفس الطريقة فيظهر الروائي أزمة من صعد إلى الجبال مجبرا وعلق بين خيارين أحلاهما مر، جماعة إرهابية قاتلة ومجرمة، ونظام حاكم مستبد يسيطر عليه الجيش.

كما يصور الروائي معاناة العاملين بسلك الأمن ممن حللت دمائهم بسبب القرارات السياسية لرؤسائهم، ووقوع حمل المقاومة على عاتقهم ضد الجماعات المسلحة، وهكذا تصير حربا أهلية يقتل فيها الجزائري أخاه الجزائري، وكل هذا من أجل صراع نخبوي للسلطة الحاكمة...

ويظهر على لسان شخصية «الحاج الطاهر» موقف المدني البسيط الواقع ضحية لتلك القرارات والذي لم يختر طرفا من طرفي الصراع، ومعاناته من الفقر والخوف والقتل والخطف والاعتقال. كل هذا بسبب الصراعات السياسية التي جعلت النخبة الحاكمة تعتمد على قوة الجيش لسلب الحرية من الشعب الذي انتخب ممثليه الذين لا يعجبون تلك النخبة.

وقد أدت هذه الصراعات إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتعطيل الحياة السياسية في البلاد. وقد شهدت الجزائر في عقب إلغاء الانتخابات البرلمانية وتدخل الجيش، حملات قمع واسعة ضد المعارضين والمتظاهرين، وتم اعتقال الآلاف من النشطاء السياسيين والحقوقيين والصحفيين والناشطين في المجتمع المدني، وتعرض الكثير منهم للتعذيب والاهانة والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. ويمكن القول إن التداعيات السياسية لهذه الأحداث استمرت لفترة طويلة في الجزائر، ولا تزال تؤثر على الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد حتى يومنا هذا.

ثانيا: دلالات خطاب الحرب في رواية حرب القبور:

1. **الحرب من خلال الأحداث:**

يظهر خطاب الحرب جليا في رواية حرب القبور لمحمد ساري من خلال الأحداث التي يحبكها بشكل يجعل القتل واضحا فيه منفصلا عن بقية الأحداث. فمن خلال أحداث القصة نرى أن الروائي يظهر أحداث القتل والمجازر بصورة بالغة العناية وبتفاصيل تظهر للقارئ مدى شناعة الحدث وصعوبته على الشخصيات وآثاره عليهم، وأبرز مثال على ذلك يظهر في حدث يجبر فيه «كريم»، وهو شخصية من شخصيات الرواية، منظم إلى الجماعات الإرهابية على ذبح عامل أجنبي في الجزائر ضمن عملية لاغتيال عمال أجانب قامت بها جماعته. وفي الشاهد أدناه نرى كيف يعاني «كريم» وهو يجبر على قتل العامل الأجنبي بذبحه بسكين والضغط المسلط عليه من قبل رفاقه:

يقول في الرواية:

(أمره قائده يزيد قائلا: تعال هنا كريم... إلى جانبي... حان الوقت لتتعلّم الذبح. أنظر... هذا سينحره بوشاقور. وأنت ستتكفل بالآتي... هيا اقترب..

اقتربت من يزيد وهمست في أذنه متوسلاً: – يا خويا يزيد... أعفيني من هذه المهمة... لا أحس بنفسي قادرا على ذبح إنسان وإن كان أشرس عدو الله... لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها...

– كفاك بكاء ... اليوم يوم عظيم... نتقرب إلى الله برؤوس الكفار وأنت تشتكي كما النسوان. ما هذا يا كريم؟[1]

أحسست بوخز شفرة في رقبتي وصوت بوشاقور مهددا:

– هو أم أنت، لك الاختيار..

لا أعرف تدقيقا كيف بادرت إلى قطع رأس ذلك الغلام الأشقر. استيقظت تحت صراخ أصحابي وهم يهللون ويهنئون.[2]

هنا تظهر حالة الإجبار التي تعرض لها «كريم» ليقدم على ذبح رجل بريء، وهنا فتحت عيناه على حقيقة ضلال جماعته، التي ظن أنها تدعوا إلى الحق ورفع الظلم، فوجدها ظالمة مثلها مثل الدولة التي قرر محاربتها، وبذلك يتجلى الصراع النفسي القاتل الذي يقع تحته «كريم» والذي لا مهرب له منه فهو بين خيارين أحلاهما مر. وفي أطوار القصة نرى تبعات هذه الصراعات النفسية بأشكال عديدة لا يسعنا المجال لسردها كلها.

والمثال الثاني الأبرز هو حادثة وقعت في ثكنة عسكرية؛ وهذه الثكنة هي نفسها التي يعمل فيها الشخصية الرئيسية الثانية في الرواية الضابط «سمير» وفي رواية قصة هذه الحادثة يرجع «سمير» من العطلة ليجد أن مجزرة قد وقعت

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص133-134

[2] المصدر نفسه، ص136.

في الليلة السابقة لوصوله، حيث قامت جماعة صغيرة منتمية للجيش بقتل عدد من الجنود، والهروب إلى الجبال والانضمام للجماعات الإرهابية، فيبدأ بطرح الأسئلة ومنها تتبين لنا ملابسات هذه الحادثة:

سأل الضابط فتى من ذوي الخدمة الوطنية:

(سألته عما حدث. تنهد بحسرة خانقة، كان على قاب قوسن أو أدنى من الانفجار بالبكاء.

ثم قال برعشة في الصوت: «وجدناهم مذبوحين... قرب سور الزيتون» ... آه، لقد وقعت المذبحة في الخلاء والظلام الدامس.

ثم قال: ثلاثة حراس وأربعة من جنود غرفة السلاح.

قلت: من تظن أنه قتلهم؟

نكس رأسه وقال: الله أعلمُ من تظن يذبح العسكر غير «أصحاب بولَحَيَة»؟

قلت: وكيف تسلّل هؤلاء القتلة إلى الثكنة دون أن يتفطّن لهم أي حارس؟

رد باقتضاب: «هناك من ساعدهم من الداخل... هكذا سمعت.»

«من الداخل؟ كيف؟ من؟» أحجم الجندي عن الإجابة) [1]

وهنا تظهر وحشية الحرب في فترة العشرية السوداء، إذ ترتكب المجازر بين الأعداء والحلفاء فالخيانات تحدث بين كلا الطرفين، كما حدث في الثكنة حيث يعمل الضابط «سمير» (الشخصية الرئيسية الثانية) في الرواية، والتي ساعد فيها ضابط المداومة الجماعات الإرهابية على ارتكاب جريمتهم، ثم فر معهم كما سنبين في المثال التالي من حوار الضابط سمير مع قائد الثكنة:

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ ،2018، ص52-53

(ابتلعت ريقي غيظا وحسرة وقلت: ماذا حدث بالضبط؟ كيف نُبقر في عقر دارنا بهذه الكيفية المهينة؟ أين كان الحراس؟ أين ضابط المداومة؟ قال بمرارة أرعدت صوته: ضابط المداومة هو الذي خدعنا وأدخل الدمويين إلى الثكنة) [1]

ويظهر من خلال الأحداث التي خطها الروائي وحشية الحرب وظروفها القاسية التي تدفع وتجبر أكثر الناس مسالمة لارتكاب أبشع الجرائم وتظهر كذلك طينة من كان يدعي السلم والخير وتبينهم على حقيقتهم بشكل واضح لم تكن لتظهر لولا ظروف الحرب المعرية لجوهر الناس، كما حدث مع شخصية «أبو كلاش» الذي استغل الحالة الحرجة للدولة ليظهر مبتغاه، وتنفيذ عملياته الإجرامية في مناسبتين مختلفتين تبين معدنه الحق، وأنه شخص لا يهتم بالقضايا الشريفة، وأنه يرغب بالسلطة والهيمنة فقط. وذلك يظهر في المثال السابق حيث ارتكب جريمته في الثكنة العسكرية التي يعمل فيها حيث كان هو ضابط المداومة المسؤول عن تلك المجزرة التي ذكرناها في الشاهد السابق، وكرر فعلته مع الجماعة الجهادية التي انضم إليها عندما استغل الشقاق الحاصل بينهم ليغتال كل منافسيه، ويتفرد بالسلطة والأمر جلي في الرواية:

(استغل أبو كْلاش فوضى الخصام وأجهز برشاشه في دقائق على جميع الرؤوس. مثلما تعرفه جيّدا، إنّه عسكري متمرس على القتال ولا يخطئ الرمي أبدا. ثم جمعنا نحن الناجين وقال «ابتداء من اليوم، أنا أميركم الجديد، وعليكم بمبايعتي وطاعتي.» فلم يكن أمامنا من اختيار إلا المبايعة والطاعة.)[2]

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ ،2018، ص53-54

[2] المصدر نفسه، ص10

ويظهر من خلال كلامه وتصرفاته حبه للسلطة ورغبته في الحكم مهما كانت الظروف ومهما كانت السبل التي يتبعها خبيثة وخسيسة، حيث يظهر من الشاهد الذي سنورده كيف يرى نفسه وكيف يريد أن يكون:

(لعلمك أنه سمى نفسه "أبو الجبار". وعندما اعترض فيصل الأفغاني، وهو صديقه وابن مدينته مثل ما تعرف، بملاحظة أن الكنية غير لائقة، وعليه باختيار لقب آخر، قهقه عالياً وقال: يا شريكي العزيز، أنا رب المقلة هنا، ومن حقي أن أسمّي نفسي مثلماً أريد.)[1]

جرائم عديدة وقعت على مدى أطوار الرواية، قتل بشتى الأساليب من ذبح ورمي بالرصاص وخطف واغتصاب وتنكيل، أبدع الروائي فيها بإظهار هذه الفظائع بصورة موضوعية، مفسرا في كل خطوة الأسباب التي دفعت بمرتكبي هذه الجرائم على الإقدام عليها، مبينا اختلاف وجهات الرأي حولها داخل الجماعات المرتكبة لها، فهناك من يرى أنها واجب وجهاد نبيل وجب القيام به أمثال رفقاء «كريم»، ومنهم من يرى بأنها فظائع لا داعي لها وأنها بعيدة تماما عن النبل الذي يحمله فكر الجهاد الإسلامي، وأبرز مثال على ذلك شخصية «كريم». كما أظهر الروائي معاناة أهل القرى المدنيين من هول هذه الحرب التي وقعوا ضحية لها وذلك من خلال قرية بني رحمون التي تظهر قرية من السكان البسطاء الذين راحوا ضحية القتل والخطف من قبل الجماعات الإرهابية قبل أن يعقدوا العزم على المقاومة، وبالتالي الدخول في حرب مع الجماعات الإرهابية وقتل الكثيرين منهم دفاعا عن أنفسهم من شر القتل والخطف، والطرف الثالث ،الجيش، الذي دفعه عمله كحامي للبلاد والعباد من أهل هذا الوطن للدخول في حرب مع الجماعات المسلحة والاضطرار إلى قتل ومطاردة هذه الجماعات في حرب ضروس بين متاهات الجبال الوعرة، والتي تبين من خلال الرواية الصعوبة التي كان يواجهها الجنود في العمل وخارجه، حيث كانوا هدفا للقتل من قبل الجماعات الإرهابية كمدنيين في عطلهم وفي منازلهم،

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ2018، ص10

وغالبا ما يقعون ضحية للحواجز المزيفة أو لاغتيالات في الشوارع ،وداخل العمل على الجبهة من تعرض للقتل والتنكيل والاضطرار إلى مواجهة الصعاب وقتل الإرهابيين. ونرى من هذا كله أهوال الحرب من خلال أحداث الرواية ومدى بشاعتها وتبعاتها الوخيمة التي تميز الروائي في إظهارها في مختلف أطوار قصته

2. الحرب من خلال المكان:

اتخذ الروائي عدة أمكنة ليصور فيها الحرب حسب الأحداث التاريخية الموثقة في زمن العشرية السوداء فكان أشهر مكان وأكثره إجراما هو:

❖ **الطرقات الرئيسية** ؛حيث كانت الجماعات الإرهابية تتنكر بزي الدرك والشرطة للقيام بحواجز مزيفة، وفي هذه الطرقات حدثت مجازر لا تعد ولا تحصى .وقد صور الروائي مشهدا حيث يقيم فيه الإرهابيون حاجزا مزيفا قاموا فيه بتصفية شاب ينتمي إلى الجيش الوطني، وأيضا دركيين وقعوا في فخ الحاجز، وقد صور الروائي وحشية هذه الجرائم في هذا المكان الذي اشتهر به الإرهابيون في فترة العشرية السوداء .والشاهد الذي سنورده يصف الحادثة التي أقامت فيها الجماعة الإرهابية التي ينتمي إليها الشخصية الرئيسية «كريم» حاجزا مزيفا في الطريق متنكرين بأزياء الدرك الوطني بعد أن انضم إليهم خبير في هذا المجال وهو «فيصل الأفغاني» :

(ولم تمر إلا أيام قليلة بعد وصول «فيصل الأفغاني» حتى نفّذت جماعتنا أول حاجز مزيف في منعرجات أعالي كاف بني سوكة، المشرف على مدينة تبلاط.

قضى فيصل الأفغاني على جندي حاول الفرار بعد أن انكشَفت هويته. لم يتردد في إطلاق النار أمام ارتباك الآخرين وهم يرون الشاب يقفز راكضا عبر المنحدر المؤدي إلى الوادي.

وكان ذلك الحاجز بداية لتنظيم العشرات أمثاله وفي مختلف المنعرجات لجمع الأموال واصطياد العسكريين.[1])

كما ذكر الراوي على لسان شخصية «فريد» أحد رفاق البطل في الجماعة الإرهابية حادثة مشابهة لجريمة شنعاء قام بها في حاجز مزيف أقامه ورفاقه في منعرج يدعى (منعرج برج الغولة) وهو يحاول أن يشجع البطل «كريم» على القتل وأنه سيتعود عليه مع مرور الوقت ومع تكرار الجرائم فيقول:

(أنا فخور بك، كريم... لا تشغل بالك ولا تكتئب، مع مرور الأيام، ستتعود، ويهون لديك أمر الذبح. صحيح أن ذبح رجل أول مرة شاق علينا جميعا. أنا أيضا لم يكن ذبحي الأول سهلا. كان دركيا مجروحا خلال كمن نصبناه لسيارتهم قرب منعرج برج الغولة. كانوا أربعة، قتلنا منهم ثلاثة بالرصاص(...) وجدنا رابعهم يئن ويشد في بطنه المُخيّط بالرصاص (...) قطعت رأسه بلا تردد، دون أن ترتعد يدي. ولكن عندما وقفت، ورأيت الجرح المفتوح في أعلى الرقبة والدم المتفجر ورجليه اللتين تتحركان، شعرت بالغثيان. كدت أفرغ أحشائي. ولكنني تماسكت)[2]

وهنا تظهر وحشية هذه الجماعات الإرهابية التي تذبح بسهولة وترى في نفسها الخير إذ تفعل ذلك بل وتنسب لنفسها البطولة وهذه أحد الأماكن التي كانت فيها جرائمهم خالية من الشفقة والتي وقع فيها الكثير من الضحايا.

❖ **الجبال:**

وأما المكان الثاني الذي أبرز فيه الروائي أحداث الحرب هو الجبال حيث تعتبر المكان الأنسب للاختباء والتنظيم والعمل للجماعات الإرهابية، دون مراقبة الجيش أو القدرة على ملاحقتهم، فتكون لهم اليد العليا بين أحراش وحفر وكهوف الجبال التي تعطيهم راحة التنقل بحرية والعمل على تنظيم عملياتهم الإرهابية. وتظهر هذه الأفضلية على لسان رئيس ثكنة

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص188

[2] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص137-138

عسكرية حيث يقول (**إن هؤلاء الإرهابيين، على قلّة عددهم وبساطة أسلحتهم، مثل العظم في الحلق، لا يقتلك ولا يتركك تستريح. ينتهجون خطة حرب العصابات القائمة على الكر والفر في إقليم يتحكمون في تضاريسه**)[1]

يمثل الجبل ساحة المعركة الكبرى في الرواية بين كل الأطراف المتصارعة من جهاديين وعسكريين ومواطنين، وتكون اليد العليا فيه في البداية للجماعات الإرهابية التي تتموضع في المناطق العمياء لطائرات الجيش الاستطلاعية، وتكمن للمشاة في مناطق صعبة وتوقعهم في فخاخ، لمعرفتهم الكبيرة بالتضاريس التي يجهلها الجيش، لكن يلعب تدخل سكان تلك الجبال على خط القتال عاملا فاصلا في هذه الحرب، إذ بمعرفتهم العميقة بكل شبر من الجبال التي يسكنونها أبا عن جد ويساعدون الجيش في التصدي للجماعات الإرهابية، وترفع من فرصهم في الفوز بتدعيمهم بما كان ينقصهم وهو الدليل الخبير بالمنطقة وهذا ينقلنا إلى المكان الثالث في الرواية وهي قرية بن رحمون الكائنة في الجبل الذي يتخذه الإرهابيون ملاذا لهم.

❖ **القرية:**

تحمل قرية بني رحمون دلالة مهمة في حيز المكان الروائي؛ فهي تمثل المواطن المدني البسيط، الذي ذهب ضحية لهذه المعركة، وعلى أرضها تقع الكثير من الجرائم البشعة وقد اختارها الروائي ليبين أن أهل القرى المعزولة الذين يعتقد الواحد منا أنهم بمنأى عن الصراع، وان لا واجب ولا حقوق عليهم في تلك المعارك التي تدور رحاها بين الجماعات الإرهابية والحكومة بجيشها وأمنها.

[1] المصدر نفسه، ص 246

ويظهر هذا الحيز المكاني في الرواية كنقطة وسط لهذه المعارك القائمة، حيث كان أهل هذه القرية يلتزمون الحياد لكن وبسبب الجرائم التي ارتكبها الإرهابيون بأهلها اختاروا جانب الدولة والجيش، ودخلوا في معارك طاحنة مع الجماعات الإرهابية سقط خلالها ضحايا من الطرفين.

3. الحرب من خلال الزمان:

الحيز الزمني الذي تتناوله الرواية هو الفترة المعروفة في تاريخ الجزائر "بالعشرية السوداء" أو" بعشرية الدم "، وهي فترة زمنية امتدت من حوالي 1990 إلى 2000. وفي الرواية يتناول الروائي «محمد ساري» هذه الفترة بشكل الحاضر وما قبلها، أي الأحداث السابقة لها والتي أدت إليها، بالماضي وتبين الرواية للقارئ تفاصيل تلك الفترة من تاريخ الجزائر المتمثلة في صراع الأقطاب من جماعات مسلحة جهادية وأجهزة الدولة الأمنية والسياسية التي دارت رحى الحرب بينهم مع تأثر الشعب البسيط بهذه الصراعات ودفعه لاختيار أحد الطرفين. وقد تباينت وجهات النظر فيمن كان على حق ومن على باطل بين جميع شرائح المجتمع حتى خرجت مقولة (من يقتل من)، وتظهر الصراعات الأيدولوجية في الرواية بين جهات الصراع المختلفة، وقد أظهر الروائي وجهة نظر بعض الشخصيات من كل الأطراف، لكن ولأنها رواية تخيلية فإنها لم تخل من الانتقائية لأنه (إذا كان التاريخ بصفة عامة هو جملة من الأحداث لا قيمة أيدولوجية موجهة فإن العمل التخيلي هو عملية قراءة تأويلية لتلك الأحداث. تغذيها دوافع وأبعاد أيدولوجية للمؤلف والمجتمع ككل.)[1]

ولأن الرواية في نهاية المطاف لا يمكنها أن تصور الحقيقة التاريخية المطلقة بقدر ما تجسد موقفا ورؤية معينة لهذا التاريخ كذلك في رواية حرب القبور نرى أن الروائي على لسان شخصياته والأحداث التي خلقها في قصته تظهر النظرة الأيدولوجية الكامنة فيه، وفي المجتمع الذي ينتمي إليه رغم محاولته الجديرة بالثناء على التزام الحياد وإظهار الشكل الحقيقي لجهات الصراع، فمثلا نرى أنه قد صنع ثلاث شخصيات تنتمي إلى الجماعات الإرهابية وعلى لسانها نرى مختلف

[1] الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الاديولوجي، الدكتور إبراهيم عباس، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1،2005، ص298.

الأسباب الموضوعية التي دفعت بكل واحد منهم إلى الانضمام للجهاد والإرهاب؛ فهناك «كريم» الذي صعد على أمل تحقيق العدل وتطبيق الشريعة السمحاء ضد أعداء الله الذين يحبون أن تشيع الفاحشة على حسب قوله (**إنّنا نغرق في الرذيلة يوما بعد آخر. لقد انحرفنا عن الدين الحقيقي.**)[1] لكنه صدم بأن الجماعة التي ينتمي إليها مجرمة ولا تختلف عن العدو الذي يحاربه وربما أسوأ.

ويظهر وجهة نظر شخصية انضمت إلى الجماعة الإرهابية بسبب الغضب، تتمثل في شخصية «منير» الذي عاش حياة صعبة من الفقر والعوز وعندما وجد ملاذا في المسجد والتدين تعرض للتعذيب في أقبية الشرطة لأن الفترة الزمنية التي كانت قبل وأثناء العشرية السوداء، تميزت بصراع أيديولوجي بين التيار الإسلامي الذي ظهر بسبب أخطاء السلطة، وبين الجهاز العسكري وقواه السياسية من اليسار والبربر والفرانكفونيين ...الخ لهذا كان الجهاز الأمني يمارس المضايقات على كل من يتصف بالشكل الإسلامي المحافظ من لحية وقميص ...الخ وقد تعرض «منير» بسبب مظهره للظلم المتكرر خاصة بعد إلغاء الانتخابات التشريعية سنة 1991. وقد أدى توقيف المسار الانتخابي، وغلق مجال التنافس السياسي إثر فشل المشروع الديمقراطي إلى دخول التيار الإسلامي في العمل المسلح، عندها صار كل من له مظهر إسلامي مهددا بالسجن والمضايقات، ومنهم «منير» الذي ذاق الأمرين من سجن وتعذيب وتنكيل دون ذنب فدفعه غضبه لحمل السلاح مع الجماعات المسلحة في الجبال، ويظهر ذلك جليا في قوله بعد أن خرج من السجن الذي عذب فيه وأهين به أمام الناس:

(كل ما أتذكره من ذلك اليوم المشؤوم هو أنني أقسمت بالله وبرأس والدتي العزيزة التي ماتت دون أن أراها، وبكل مقدسات الأرض والسماء أن أنتقم شر انتقام من هؤلاء الأنذال الذين ذلّوني إذلالا لا نظير له، حولوني

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص12.

إلى بهيمة، كما لم أعد أطيق العيش مع الناس الجبناء المنافقين الذين لم يتقدم ولا واحد منهم لإعانتنا. من تلك الصبيحة، لم تطأ قدماي المسجد لأن نفسي عفت الوقوف بقرب هؤلاء، بل واقتنعت أن صلاتهم باطلة، صلاة منافقين ليس إلا. ولم تكن أمامي من مبادرة للتخلص من حالة الانهيار والتقزز إلا الصعود إلى الجبل.

[1] (

ويظهر غضب «منير» المستمر داخل قلبه من كل ذلك الظلم الذي تعرض له من أجهزة الأمن التي اشتبهت به كونه إرهابيا فقط لأن له لحية ومظهرا سلفيا ومن المواطنين الذين أداروا ظهورهم له، ومع تفاقم الوضع اضطر إلى الصعود إلى الجبل والمشاركة في العمليات الإرهابية.

ويظهر حيز زمني آخر وسببا ثالثا للانضمام إلى الجماعات المسلحة في الجبال على لسان شخصية ثالثة هي «فيصل الأفغاني» وهو شخصية جهادية قديمة حيث يعتبر في الرواية من أوائل المجندين في الحركة الجهادية في منتصف الثمانينيات أرسل إلى أفغانستان، وشارك في العمليات الجهادية ضد الجيش الروسي عاد إلى الجزائر بعد مظاهرات أكتوبر عام 1988، وكان من بين الدعاة المتشددين الذين دعوا إلى اللجوء إلى السلاح.

ألقي القبض عليه بعد أن قتل شرطيين ولكنه هرب من السجن والتحق بالجماعات المسلحة في الجبال وكانت دوافعه متعلقة بشكل كبير بوجهات نظر دينية تلقاها خلال وجوده في السعودية وفي أفغانستان، حيث تشبع بفتاوى المذهب الحنبلي وصار من أتباعهم ولهذا يحمل دوافع عقدية يرى من خلالها وجوب قيام الدولة الإسلامية وجواز القتل والسلب واتخاذ سبايا في سبيل تحقيق الغاية الأسمى وهي الدولة الإسلامية.

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ،2018، ص97

تظهر من خلال شخصية «فيصل الأفغاني» فترات زمنية متباينة لكنها مرتبطة بفكر أيديولوجي، واحد فقد أظهر الروائي فترة زمنية أقدم من تلك التي ينتهجها في أطوار الرواية، وهي فترة الثمانينيات حيث شجع العالم الحركات الجهادية للذهاب إلى أفغانستان ومحاربة الاستعمار الروسي. وتجمعت هناك أفكار الجهاد والمذهب الذي يدعو لرفع السلاح ضد الدول التي ينتمون إليها لإعادة الدولة الإسلامية حسب تصورهم، ومنهم جزائريون من أمثال «فيصل الأفغاني» وبهذا ربط الروائي بين فترتين زمنيتين وأحداث تاريخية تحمل أفكار أيدولوجية دفعت الأولى لظهور الثانية ليس بطريقة مباشرة لكنها لعبت دورا فارقا فيها.

ويظهر الروائي من خلال هذه الأحداث التاريخية دوافع الصراع المختلفة بين الأقطاب السياسية والأيديولوجية في تلك الفترة الزمنية المعقدة والمليئة بالحروب والقتل والمعارك الطاحنة. وقد أظهر القناعة الأيدولوجية التي تؤطر الوعي الشعبي حيث لا يهيمن الخطاب الواحد على أحداث رواية حرب القبور. وتتجلي في فصول الرواية التي تتبنى شخصيات متعددة كل أفكارها وأيديولوجياتها، وهذه هي الغاية المنشودة من العمل الروائي عند الأديب.

وإذا حاولنا رصد تلك القناعات الأيدولوجية ذات الإشارات التاريخية في كامل نص الرواية فإننا نجدها موزعة بشكل فيه كثير من الذكاء والقدرة الفنية. على كل ثنايا النص من البداية إلى النهاية. ويمكن تفسير هذا التواتر الفكري وطريقة توزيعه في ثنايا النص بالأهمية القصوى التي تعطيها مثل تلك الإشارات الفكرية ومدى إصرار الأديب على تثبيت متعلقات خطابها لدى المتلقي. الذي سوف ينتقل بخياله إلى الفترة الزمنية الممتدة إلى ما قبل العشرية السوداء والظروف المؤدية لها والأحداث أثناء العشرية السوداء والتي يحددها النص سواء بالتصريح المباشر أو التلميح الضمني. حيث تسعى كل فئة اجتماعية لطرح أفكارها وتبرير منطلقاتها (كريم- الضابط سمير-الحاج الطاهر-فيصل الأفغاني - منير...الخ).

4. الحرب من خلال اللغة:

استعمل الكاتب «محمد ساري» في روايته حرب القبور قاموسا حربيا غنيا بالمفردات المعبرة عن واقع الحرب في الرواية، حيث تناول على لسان شخصياته مصطلحات تدل على معنى خاص بالحرب في تلك الفترة الزمنية، وكل شخصية من شخصياته الرئيسية الثلاث تستعمل مصطلحات تصف بها الحرب بطريقة مختلفة عن الأخرى، فنرى على لسان الشخصيات التي تمثل الجماعات الجهادية أنها تستعمل مصطلح [**الطاغوت**] لوصف السلطة الحاكمة في البلاد والتي تعتبرها الجماعات الجهادية عدوا وجبت محاربته، والطاغوت هو:

في اللغة مشتق من الطغيان والطغيان مجاوزة الحد، وفي الاصطلاح هو كل ما تجاوز به العبد حده مع معبود أو متبوع أو مطاع. فالطاغوت هو الطاغي المعتدي أو كثير الطغيان. والطواغيت كثير، ومنهم المقصود في الرواية "الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى" وقد استعمل الكاتب هذا المصطلح في أطوار الرواية للتعبير عن العدو الواجب قتاله من قبل الجماعات الجهادية وكذلك محاربة كل من يطيعه أو يناصره فنرى على لسان شخصية «فريد» في نقاشه مع بطل القصة «كريم» حول الجهاد وأهدافه: (**أين الجهاد الصحيح إذاً، إذا لم يكن في محاربة الطاغوت وجميع أعوانه من العسكريين والمدنيين معا؟ من ليس معنا فهو حتماً ضدنا ويجب محاربته بالحديد والنار وبجميع الوسائل المتاحة الممكنة.**[1])

يعبر هذا المصطلح على نية القتال ضد عدو ظالم وأن أي وسيلة تحقق هذه الغاية هي مباحة أمام الجماعات الجهادية حتى وإن قتلوا الأبرياء من المدنيين، وقد استعمله الكاتب بشكل يظهر معرفته الواسعة بمصطلحات ولغة تلك الجماعة في وصف أعدائهم.

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص12

مصطلح آخر استعمله الكاتب في روايته على لسان شخصياته، يعتبر مصطلحاً ذا معنى واسع لكن في الرواية أخذ منحى الحرب والقتال وهو مصطلح [**الجهاد**] ويستعمل هذا المصطلح في وصف أي فعل أو قول يصب في مصلحة الإسلام لصد عدو ما يستهدف الإسلام والمسلمين فعلا أو قولا أو كلاهما.

وظف هذا المصطلح في الرواية لوصف عمل القتال ضد عدو ظالم على لسان شخصيات الرواية التي تمثل الجماعات الجهادية والتي تعتبر نفسها تحارب عدوا للإسلام وبذلك فهي تمارس [**الجهاد**] وعلى سبيل الذكر لا الحصر نورد شاهدا من الرواية على لسان شخصية البطل «كريم» وهو يناقش مسألة الجهاد ويطرح الأسئلة حولها: (**أين تنتهي الدعوة؟ أين يبدأ الجهاد؟ أهو جهاد النفس أم جهاد سيف وحرب؟ وفي أي خانة نصنف عدونا؟ أضمن المشركين أو الكفار أو الوثنيين أو الشيوعيين؟ مع العلم أنهم مسلمون، على الأقل في المظهر، لأنهم يصلون ويصومون وينطقون بالشهادتين وإن بحكم الرياء**[1].)

ويتضح من الرواية أنهم قد اختاروا جهاد الحرب والسيف وقتال العدو الذي يعرفونه (بالطاغوت)، ونلاحظ أن مصطلح [**الجهاد**] رغم معناه الواسع لكن الاستعمال الشائع له بين تلك الجماعات وفي الثقافة السائدة في زمن الرواية يشير بشكل مباشر إلى القتال والحرب، ويعتبر من أبرز المصطلحات التي تصف القتال والمقاتلين في الرواية.

أما في الجهة الأخرى للصراع والذي نقصد به من تعتبره الجماعات المسلحة الجهادية (الطاغوت)، ونقصد بكلامنا هنا الجيش أو أجهزة الأمن، والتي تمثلها شخصية رئيسية الثانية في الرواية وهو «الضابط سمير» حيث استعمل الكاتب على لسانه مصطلحات معينة تتناول الحرب ودلالاتها من وجهة النظر المقابلة للجماعة الجهادية وأول مصطلح نراه يستعمل بكثرة على لسان هذه الجهة هو مصطلح (**الإرهاب والإرهابيين**) وهو مصطلح استعمله الكاتب على لسان

[1] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، 2018، ص82.

شخصياته المنتمية إلى صف الجيش والمواطنين لوصف الجماعات الجهادية التي تحارب الدولة والجيش والمواطنين باستعمال الإرهاب، والإرهاب هو تلك الأفعال العنيفة التي تهدف إلى خلق أجواء من الخوف والقلق ويتضمن القتل والاغتصاب والسلب. وهذا هو ما وصف به شخصية الضابط «سمير» تلك الجماعات في قوله: (**الوضع الأمني في البلد يزداد تدهورا. كل صباح، عندما أتصفح الجرائد، يقشعر بدني من هول الجرائم الإرهابية التي تُرتَكب في حق الجميع**[1]).

يُحَارَبُ الإرهابيون في القصة كونهم إرهابيين يستبدون بالأرواح والأملاك ويُعتبرون عدوا وجب قتاله ودخول الحرب ضده لهزيمته ودحره وقد كان هذا المصطلح دليل على كون الجماعات التي تصنف تحته (عدوة)، وأن الحرب قائمة ضده ونلتمس ذلك في قول الضابط «سمير» أثناء التجهيز للحرب ضدهم في حواره مع قائده: (**قال لي الرائد عبد السلام هذا المساء ونحن نتناول الغذاء في نادي الضباط أنّ القيادة العليا للجيش، بعد انتخاب الرئيس الجديد وهو عسكري محنك، قررت التصدّي للجماعات الإرهابية واستئصالها من جذورها**[2].)

ويظهر هنا أن مصطلح (الإرهاب) الذي يستعمله «محمد ساري» على لسان الشخصيات التي تمثل الجانب الأمني والعسكري للدولة في القصة لوصف الجماعات التي ينتمي إليها بطل القصة الأول «كريم» هو المصطلح المقابل لمصطلح (الطاغوت) الذي يستعمله الطرف «كريم» ورفاقه لوصف الجانب الأمني والعسكري للدولة وكلا المصطلحين لهما دلالة على كون الطرف الآخر عدوا وجب محاربته والقضاء عليه، فالكاتب من خلال استعماله لهذه المصطلحات الحربية الخاصة بتلك الفترة وبذلك الصراع ذو الطابع الخاص حيث يشمل طابع ديني وإيديولوجي خاص بتلك المرحلة الزمنية المضطربة والتي نجح الكاتب في توظيفها في نص روايته بشكل محكم أظهر من خلاله الحرب ومصطلحاتها ومعجمها الخاص بتلك الفترة التي سادت فيها الحروب الأهلية في الجزائر.

[1] المصدر نفسه، ص181.

[2] محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ ،2018، ص184

خلاصة الفصل الثالث:

نخلص في فصلنا هذا إلى نتائج عديدة نذكر منها أن رواية حرب القبور لكاتبها محمد ساري قد نجحت في إظهار دلالات الحرب بشكل واضح عبر فصول القصة، حيث أظهرت القتل والمجازر والتفجيرات من خلال أحداثها، وتناولت أماكن عديدة وقعت فيها ملابسات تلك المعارك الطاحنة تاريخياً وصورت خلفيات تلك الأماكن بالدم والنار، وقد نجح الكاتب في استغلال الزمن في قصته ليظهر الحرب والمعارك في أحداث روايته بشكل متقن وجذاب معتمدا التقديم والتأخير، وخلصنا أيضا إلى أن الكاتب يملك معجماً حربياً غنيا بمصطلحات تلك الفترة التي تحتوي حقلا معجمياً محددا خاصاً بها استغله الكاتب بشكل متقد في أطوار الرواية.

ونرى كذلك أن الرواية قد نجحت في تناول البعد النفسي لشخصيات الرواية في جو الحرب المستعرة وتأثيرها عليهم، ولم يغفل البعد الاقتصادي الذي تناولته الرواية حول تأثير الحرب في المجتمع اقتصاديا وكذلك سياسياً وبالتالي نجحت الرواية في اظهر أبعاد ودلالات الحرب بشكل يؤكد تمكن الكاتب من صنعة الحكي والرواية.

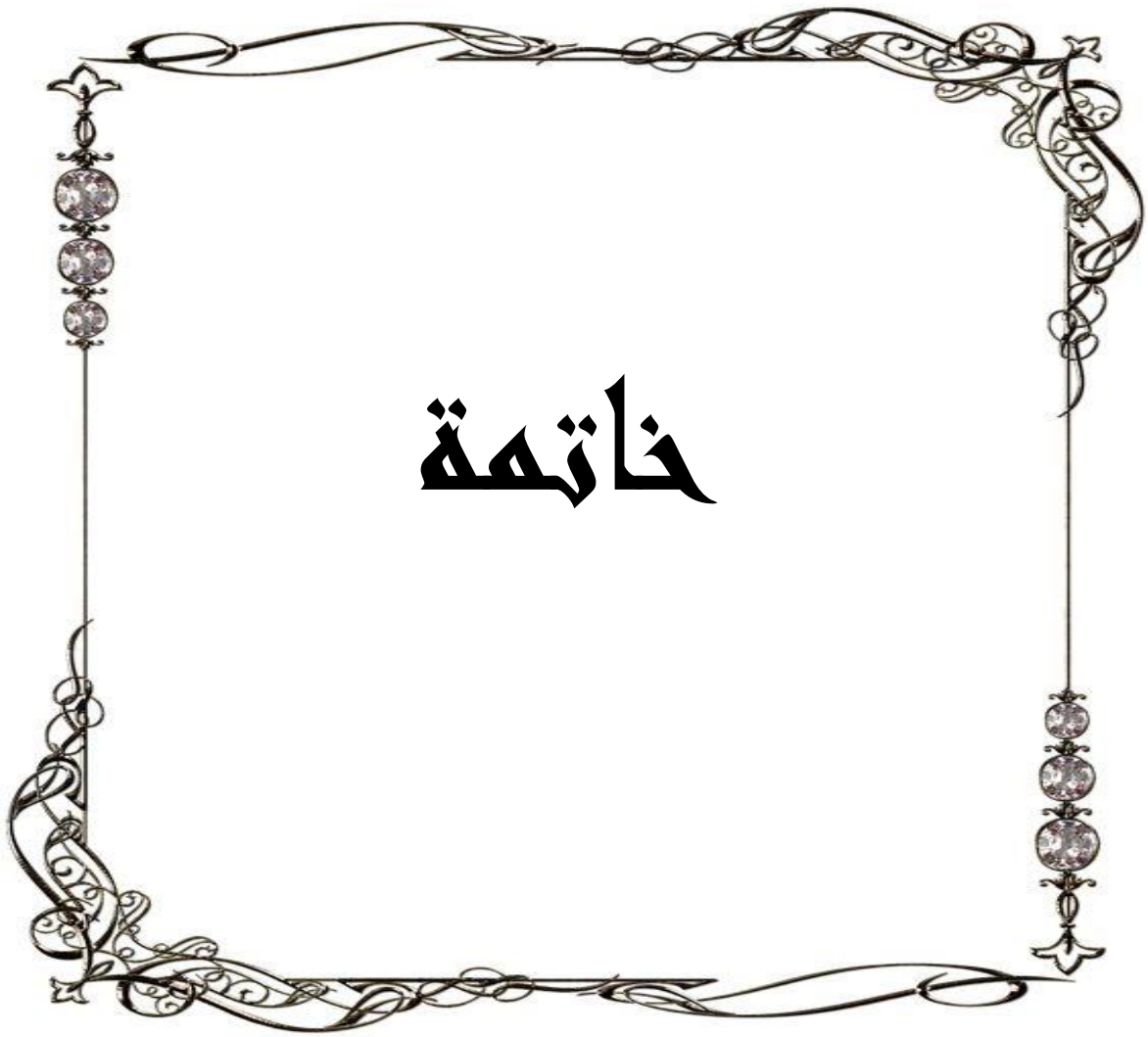

خاتمة

خـاتـمة:

وفي النهاية نحمد الله تعالى الّذي وفّقنا إلى إتمام هذه المذكرة، وها هي القطرات الأخيرة في مشوار هذا البحث نخطها إليكم على شكل نتائج استخلصناها بعد الارتحال في دراسة نصّ الرّواية وتحليلها، ومن النتائج الّتي تعتبر حوصلة عامّة لموضوعنا حصرناها في بعض النّقاط وهي:

- تطرّق الرّاوي في روايته إلى مرحلة صعبة مرّت بها الجزائر كانت بمثابة احتلال آخر، هي "العشرية السوداء" التي أثقلت كاهل الشعب والحكومة، والإشارة إلى الصّراع الإيديولوجي الّذي زامن تلك الفترة.

- سلّط الرّاوي الضوء على بعض الممارسات الّتي كانت تقوم بها الجماعات الإرهابية نتيجة الخلط في فهم الدّين ولعل من أبرزها "نكاح الجهاد" مع النساء المسبيات، والإشارة إلى قضية "اللواط" فهي من الموضوعات المتغاضى عنها.

- الإشارة إلى بعض الأسباب الّتي جعلت الشّباب ينصاع إلى مثل هذه الجماعات: الحالة الاجتماعية، ضغط السّلطة، وتضييقها الخناق على ممارسي الشّعائر الدّينية.

- السرد في الرواية "من حيث الأحداث" عرض قضية الحرب بطريقة مرتبة وبتطبيق منهج "تزفيتان تودوروف" تبين لنا أن الأحداث في الرواية تسير على ثلاث طرق رئيسية، تظهر القضية المتناولة الشائكة بوجهات نظر متعددة تخدم القصة، وفهم الحرب في الفترة التسعينية التي تناولتها.

-"من حيث تنوع الشخصيات"، يلاحظ في رواية حرب القبور تواجد تسعة عناصر مختلفة من إجمالي ثلاثة عشر علاقة تطرق إليها "تزفيتان تودوروف" في منهجه النقدي الذي طبقناه على الرواية، ويعكس هذا نجاح الروائي في إبداع شخصيات متعددة ومتنوعة، وربطها بعلاقات أساسية تحمل قصة الرواية.

- بنى "محمد ساري" روايته على الانتقال من زمن الماضي إلى زمن الحاضر، حيث أنّ كلاهما يعبّر عن آلام وجروح (العشرية السوداء/ الاحتلال الفرنسي).

- تجاوز "محمد ساري" الطريقة الكلاسيكية الّتي تعتمد على تسلسل الأحداث تسلسلا منطقيا وذلك بغية التّحرر من الأشكال الجاهزة.

- استخدم الرّاوي تقنيات سردية زادت عمله جمالا وأهمها تقنية " الاستباق" و" الاسترجاع ".

- تضمنت الرواية جانبا مميّزا هو التّحكم في المدّة الزّمنيّة للرّواية وذلك باستعمال " الحذف " أو" الخلاصة " بغية تسريع الأحداث. وعكس ذلك إذا استخدم " المشهد" أو " الوقفة ".

- جعل الرّاوي شخصيات روايته تبرز خلال المشاهد الحوارية حتّى يطلعنا على مواقفها.

-نوّع " محمد ساري " في رواية " حرب القبور" في توظيفه للغة فكانت مزيجا ببين العربيّة، العاميّة وكذا الأجنبيّة.

- تمكنت الرواية من إظهار دلالات الحرب بشكل واضح من خلال فصول هذه الخيرة. حيث قامت الرواية بتصوير القتل والمجازر والتفجيرات من خلال الأحداث التي تجري فيها.

- استعرضت الرواية أماكن عديدة حدثت فيها هذه المعارك التاريخية المدمرة، صورت خلفيات تلك الأماكن بواقعية تحمل في طياتها الدم والنار.

- وأيضا وجدنا أن الكاتب يتمتع بمعجم حربي غني، حيث استخدم مصطلحات خاصة بتلك الفترة التاريخية بشكل متقن. استغل الكاتب هذا المعجم الحربي في إثراء أحداث الرواية وجعلها أكثر واقعية.

-كما نجحت الرواية أيضًا في التركيز على البعد النفسي لشخصياتها في سياق الحرب المستعرة، وكيف تأثرت هذه الشخصيات بالأحداث. ولم يغفل الكاتب البعد الاقتصادي الذي ناقشه في الرواية وأظهرت تأثير الحرب على المجتمع من الناحية الاقتصادية والسياسية.

- تمكنت الرواية من استعراض أبعاد ودلالات الحرب بشكل يؤكد مهارة الكاتب .

وأخيرا نتمنى أن نكون قد عرجّنا على الأفكار الهامة لهذا الموضوع، وما هذا الجهد إلا نقطة في بحر العلم والبحث، وإن كان قليلا يكفينا شرف المحاولة، فإن أخطأنا فمن أنفسنا والشّيطان، وإن وفقنا فمن الله عزّ وجلّ.

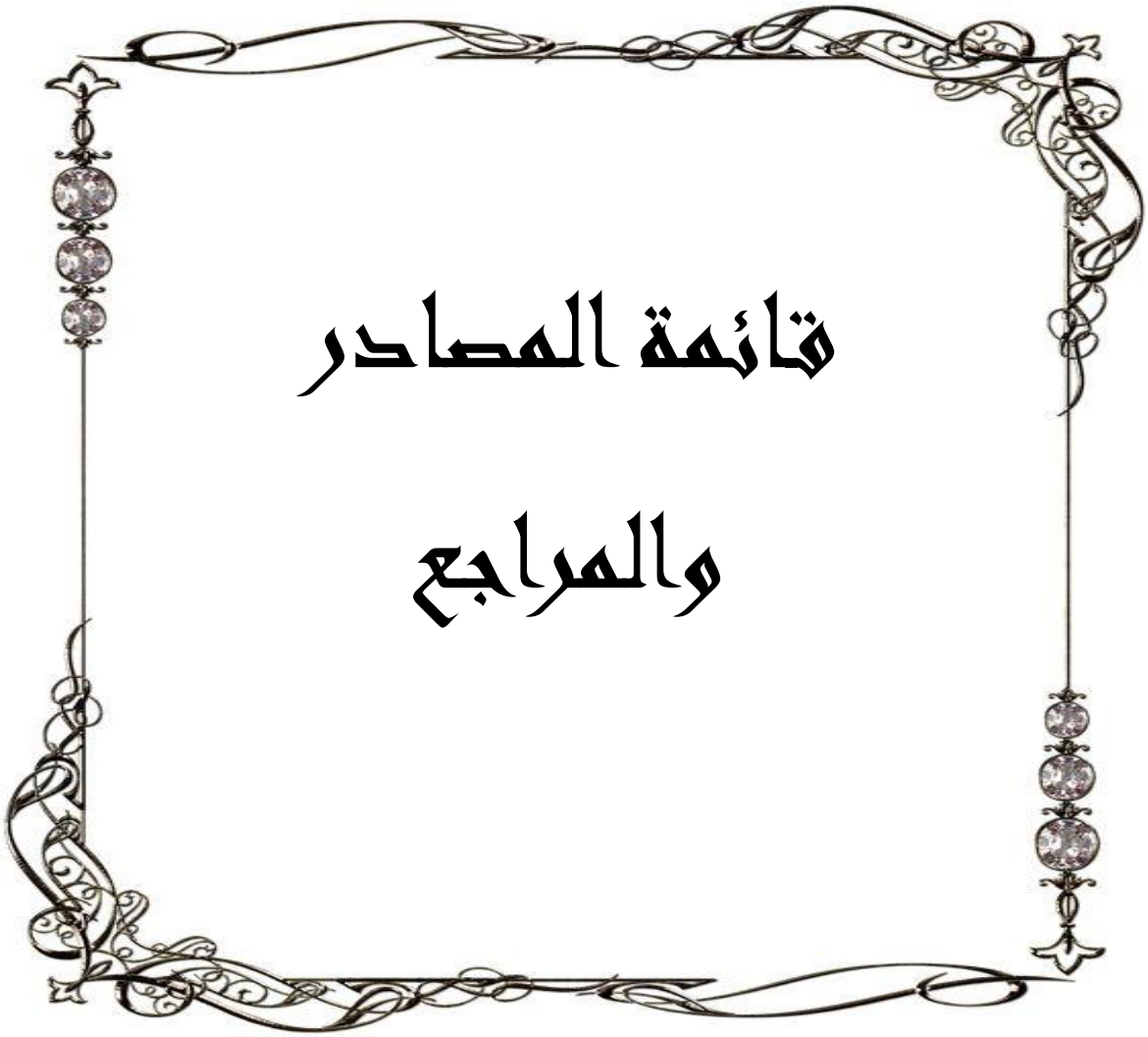

قائمة المصادر

والمراجع

1-القران الكريم برواية ورش عن نافع، دار الفجر الاسلامي، بيروت، لبنان، ط3 ،2008.

أولا: المصادر:

2-محمد ساري، حرب القبور، الجزائر تقرأ، الجزائر الوسطى، (دون طبعة)، 2018.

ثانيا: المراجع:

1-الكتب باللغة العربية:

3-إبراهيم نمر موسى، شاعر الحرب في العصر الأيوبي، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ط1، 2007.

4-أبو الفداء إسماعيل، بن عمر بن كثير القريشي، تحقيق مصطفى عبد الواحد السيرة النبوية من البداية والنهاية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، مراسلات، بيروت، لبنان، (دون طبعة)، 1976.

5-حامد محمد الخليفة، أخلاق وآداب الحرب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009.

6- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2009.

7- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور أدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1991.

8- علي الجندي، شعر العرب في العصر الجاهلي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ط3، 1966.

9- زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف، مصر، (دون طبعة) 1961.

10- ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه حمد وطماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة ط2، 2004.

11-زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الأدب في العالم الجزء الثاني، مؤسسة هنداوي.

سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، مصر، (دون طبعة)، 2004.

12- سيف بن عمر الأسدي التميمي، تحقيق أحمد راتب عمروش، الفتنة وواقعة الجمل، ج1، دار النفاس، ط7، 1993.

13- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب،الكويت،1998

14- محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، تحقيق قاسم السامرائي، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ج1، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001.

15- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010.

16- محمد ساري، على جبال الظهره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دون طبعة) ،1988.

17- محمد كامل حسن، في أدب مصر الفاطمية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (دون طبعة)، 2014.

18- محمد نجيب العمامي، الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، دار محمد علي للنشر، ط 1، 2010.

19- وردة معلم، محاضرات في تحليل الخطاب والسرديات، مديرية النشر لجامعة قالمة، (دون طبعة)،2021.

20- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دون طبعة)،1986.

2- الكتب المترجمة

21- جيرالد برنس تر: سيد امام ميريت للنشر والمعلومات، ط1، 1990.

22- جيرار جنيت، تر: محمد معتصم وآخرون، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، 1997.

23- فرانسوا بوضيه، أحمد مسعود وعامر الزمالي ومديحة مسعود، القاموس العملي للقانون الإنساني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (دون طبعة)2019.

24- تزيفتان تودوروف، طرائق تحليل السرد الادبي، مقولات السرد الادبي، الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغربّ ، ط1، 1992.

25- غاستون بوتول، الحرب أو أقصى درجات العنف، من كتاب العنف (دفاتر فلسفية -نصوص مختارة)، إعداد وترجمة: محمد الهلالي ومحمد لزرق، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط1، 2009.

26- هوميروس، الالياذة، ترجمة سليمان البستاني، مؤسسة هنداوي، (دون طبعة)، 2011.

27- ليو تولستوي، الحرب والسلام، ترجمة سامي الدروبي، دار التنوير ودار المدى، بيروت، ط 1، 2017.

28- أريك ماريا ريماك، كل شيء هادئ في الميدان الغربي، دار الهلال. روايات الهلال، العدد395، نوفمبر 1981.

3-المقالات العلمية :

29- معلم وردة، الشخصية في السيمائيات السردية، الملتقى الوطني الرابع "السمياء والنص الأدبي" جامعة محمد خيضر بسكرة.

30- زوزو نصيرة، سمياء الشخصية في رواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد التاسع. جامعة محمد خيضر بسكرة، مارس 2006.

31- شهرة بالغول، الرواية العربية ونكسة حزيران 1967، مجلة الكلمة، العدد 73، 2013.

32- محمود رزق سليم، طرائف من العصر المملوكي، مجلة الرسالة، 1948، العدد 780، 2012.

33- أحمد هاشم السامرائي، استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، العدد 231، ج 4، 2014.

34- وذناني بوداود، صدى ثورة التحرير في الرواية الجزائرية، فعاليات يوم دراسي، جامعة عمار ثليجي-الاغواط- 2018/12/04.

35- كامل عبدو ربه حمدان، الصورة البشعة للحرب في العصر الجاهلي، مجلة الفاسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان3و 4، المجلد 2007.

4-الرسائل الجامعية

36- إيمان غريب. الشخصية في رواية "مقامات الذاكرة المنسية " لـ -حبيب مونسي. مخطوط مذكرة مكمله للنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: أدب عربي حديث، تحت إشراف: الأستاذة دلال فاضل، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي- كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، أم البواقي، الجزائر، سنة 2014.

37- عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني، الشعر وحروب الخلافة العثمانية، مخطوط رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1412 هـ.

5-المعـاجـم

38- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2010

39- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين: مهديي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، لبنان، (دون طبعة)، 2003.

40- سامي عوض، معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

41- السيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، التراث العربي، الكويت، ط1، 2001.

42- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السّياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط4، 2001.

43- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشّر والتوزيع، الرياض، ط2، 1999.

6-المواقع الالكترونية

44- احمد إبراهيم الشريف، هوامش على دفتر النكسة.... صراخ نزار قباني في وجه الأمة http://www.youm7.com

45- قصة قاضي البصرة مع إلحاح الذباب HTTPS://www:ajurry.com/VB/showtnread PHP?t=8284

46- هل هناك أي حقيقة لأساطير الملك آرثر؟ آلان لوباك، تاريخ النشر2018/10/11، منصة يوتيوب، تاريخ المشاهدة2023/02/18 https://www.youtube.com/watch?v=RBsY88Lir-A

47- خالد بريش، هزيمة 67 فتحت أبوابا موصدة في الايداع http:www.arab48.com

الكتب الأجنبية

48- Thomas Malory, Le Morte d'Arthur, William caxton,1485

الملاحق

التعريف بالراوي:

محمد ساري: أديب وناقد جزائري ولد في 01 فيفري1958 بشرشال، ولاية تيبازة وحاليا يشغل منصب أستاذ نظرية الأدب والسيميولوجيا والنّقد الحديث قسم اللغة العربيّة كليّة الآداب واللغات جامعة الجزائر2. تحصل على شهادة البكالوريا في دورة جوان 1976، وبعدها شهادة الليسانس سنة 1980، بمعهد اللّغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، ثمّ شهادة ديبلوم الدّراسات المعمقة بجامعة السوربون بباريس(فرنسا) في جوان 1981، وتلاها شهادة الماجستير سنة 1992 بجامعة الجزائر تحت عنوان (المنهج النّقدي عند محمد مصايف)، له عدّة مؤلفات في النّقد والأدب من أهمّها:

- ✓ **في النقد:**

1. البحث في النقد الأدبي الجديد.
2. محنة الكتابة: دراسات نقدية.
3. وقفات في الفكر والأدب والنّقد.
4. في النقد الأدبي.

- ✓ **في الإبداع الروائي:**

1. السعير سنة 1986.
2. على جبال الظهرة سنة 1988.
3. البطاقة السّحرية سنة 1997.
4. الورم سنة2002.

5. الغيث سنة 2007.

6. القلاع المتآكلة سنة 2013.

وتعدّ رواية "حرب القبور" من آخر أعمال الروائي نشرت سنة 2018 عن دار النّشر الجزائر تقرأ، وقام **محمد ساري** بترجمة العديد من الأعمال لكُتاب جزائريين أهمهم: ياسمينة خضرة، عبد المالك حداد، رشيد بوجدرة، محمد ديب، أنور بن مالك وغيرهم.

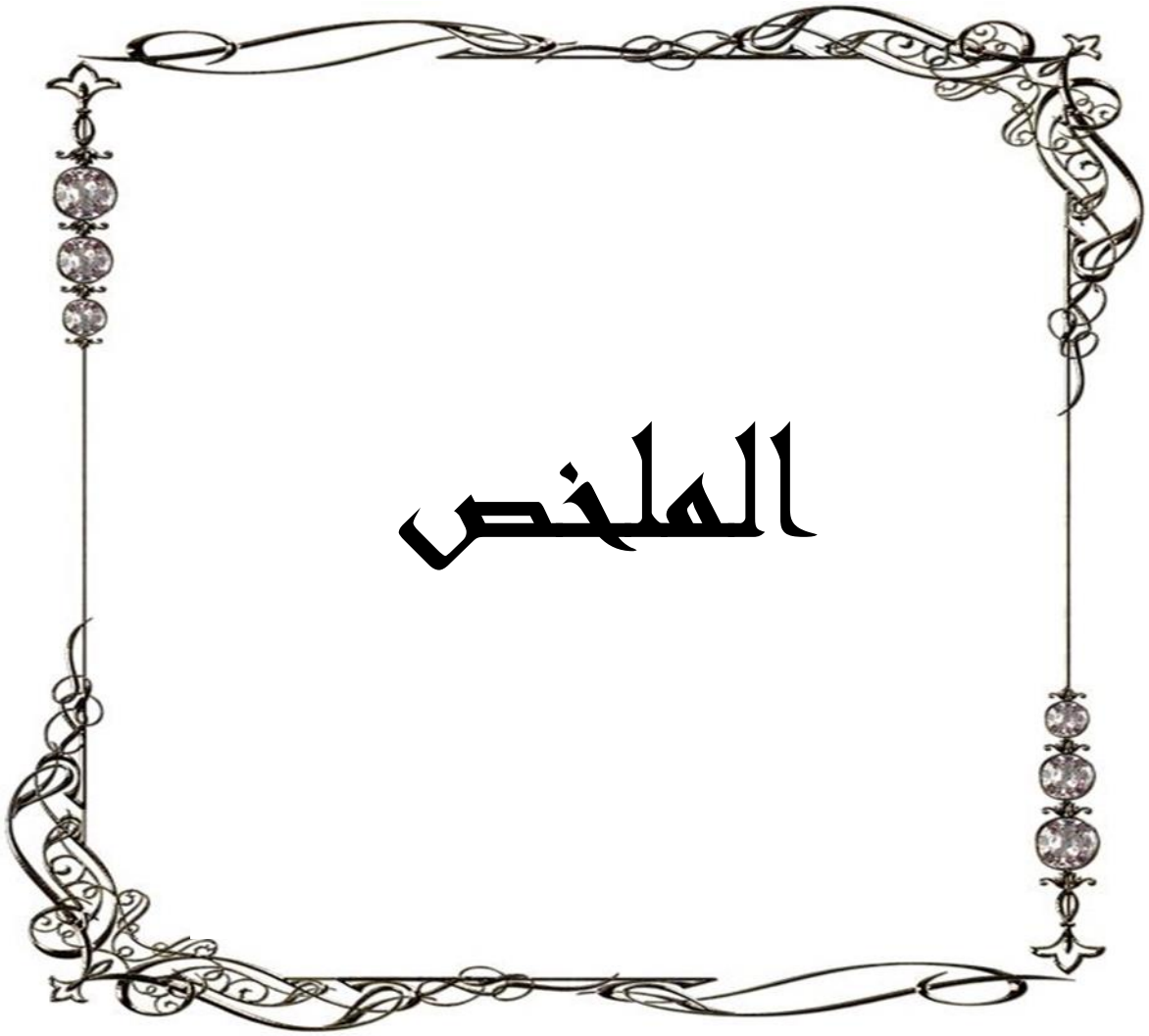

الملخص

تناول الأدباء عبر العصور موضوع الحرب، بمختلف أشكالها المأساوية في أعمالهم الفنية، وقد أسهمت أعمالهم في إلقاء الضوء على التجارب الإنسانية التي حدثت تحت وطأة الحروب والصراعات القائمة على مر العصور، منها الأدب العالمي وحتى العربي وكذلك الجزائري، كل صور الحروب التي عاصرها، وأظهر تأثيرها المأساوي حينا والبطولي حينا آخر، وموضوع مذكرتنا هذه هو خطاب الحرب في رواية **حرب القبور** لمحمد ساري، ويطرح هذا الموضوع إشكالية تتمثل في الكيفية التي تمكننا من دراسة مكوني السرد في رواية حرب القبور لمحمد ساري الحرب.

وقد قسمنا بحثنا إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة حوت أهم النتائج المتوصل إليها.

فكان الفصل الأول النظري تحت عنوان (الحرب في الأدب العالمي والعربي) وتناولنا فيه الحرب في الأدب العالمي والعربي والجزائري.

وأما الفصل الثاني فكان تطبيقيا حيث درسنا فيه السرد مرة بوصف قصة ومرة أخرى بوصف خطابا بالاعتماد على المنهج البنيوي لتودوروف.

وفي الفصل الثالث، تمت دراسة خطاب الحرب واستكشاف أبعاده ودلالاته وفق المنهج الوصفي. وأخيرًا، وقد أنهينا دراستنا بنتائج نذكر أهمها:

الكلمات المفتاحية: خطاب الحرب، الأدب، حرب القبور، محمد ساري.

فهرس

المحتويات

العنوان	الصفحة
بسملة	
الشكر	
إهداء	
مقدمة	أ–هـ
الفصل الأول: الحرب في الأدب	
أولا: تعريف الحرب:	2
1. الحرب لغة	2
2. الحرب اصطلاحا	3
ثانيا: الحرب في الأدب العالمي	4
1. الحرب في أدب اليونان القديمة	5
2. الحرب في أدب القرون الوسطى	6
3. الحرب في أدب عصر النهضة	8
4. الحرب في أدب القرن التاسع عشر	9
5. الحرب في أدب القرن العشرين	10
6. الحرب في أدب القرن الحادي والعشرين	12
ثالثا: الحرب في الأدب العربي	17
الحرب في الأدب الجاهلي	17
الحرب في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام	18
الحرب في العصر الأموي	20
الحرب في العصر العباسي	21
الحرب في العصر المملوكي	23
الحرب في العصر الأيوبي	24
الحرب في العصر الفاطمي	25

الحرب في العصر العثماني	**26**
الحرب في العصر الحديث	**28**
رابعا: الحرب في الأدب الجزائري	**30**
الفصل الثاني: السرد من حيث هو قصة ومن حيث هو خطاب في رواية "حرب القبور لمحمد ساري"	
أولا: السرد من حيث هو قصة في رواية حرب القبور	**40**
1. ترتيب أحداث الرواية	**40**
2. الشخصيات وعلاقاتها	**47**
ثانيا: السرد بوصفه خطاب في رواية حرب القبور	**74**
1. زمن السرد	**74**
أ. التنافر الزمني	**75**
ب. التسلسل	**85**
ج. التناوب	**87**
د. التضمين	**90**
2. مظاهر السرد	**91**
3. أنماط السرد	**98**
4. خرق النظام	**104**
النـتـــائـــج	**107**
الفصل الثالث: أبعاد ودلالات في رواية "حرب القبور"	
أولا: أبعاد خطاب الحرب في رواية "حرب القبور"	**110**
1. البعد النفسي	**110**
2. البعد الاقتصادي.	**114**
3. البعد السياسي.	**116**

ثانيا: دلالات خطاب الحرب في رواية "حرب القبور"	**119**
1. الحرب من خلال الأحداث.	**119**
2. الحرب من خلال المكان.	**124**
3. الحرب من خلال الزمان.	**126**
4. الحرب من خلال اللغة	**130**
خاتمة	**136**
قائمة المصادر والمراجع.	**139**
ملخص الدراسة	**146**
الملاحق.	**149**
فهرس المحتويات	**152**

.